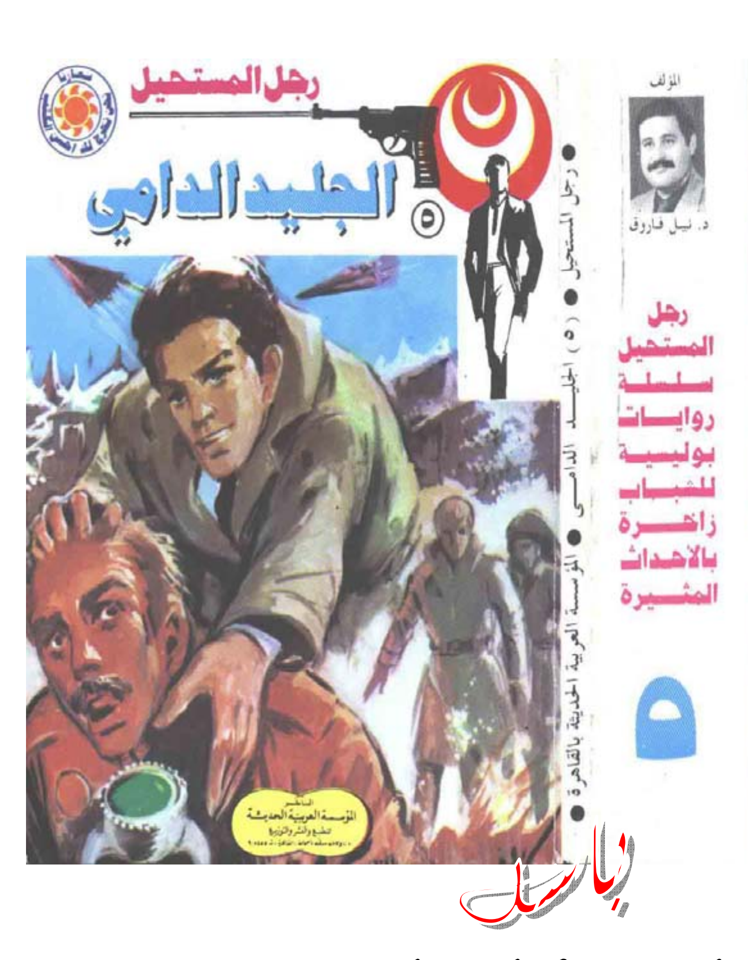
العدد الخامس

الجليد الدامي





باسل

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات الحربية ، لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ المقاتلة ..

انقضَّت طائرة من طراز (ف ١٥) على هدفها ، الذى يتمثل فى دبابة قديمة من طراز (تيجر) ، وأطلقت صاروخًا حربيًّا أصاب الهدف فى منتصفه تمامًا ، قبل أن ترتفع الطائرة ببراعة ، وتدور فى الفضاء دورة رأسية كاملة ، لتعود إلى الانقضاض على هدف مماثل ، صانعة به مثلما صنعت بسابقه .. وعلى بعد كيلومترين على الأرض ، وقف اللواء (فاروق صادق) ، مدير مدرسة الطيران الحربى ، يراقب الطائرة من خلال منظاره المقرِّب ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة إعجاب ، ثم ناول المنظار للعميد طيار (شوقى خطَّاب) الذى يقف بجواره ، وقال :

ــ راقب هذا الإبداع يا (شوقى) .. كم أتمنى لو كان هذا الرجل واحدًا من طيارينا .

ابتسم العميد (شوقى) ، وهو يراقب الطائرة وهى

تصيب آخر أهدافها بمهارة ، وقال :

ــ إننى أحسد المخابرات الحربية على فوزها بمثل هذا الرجل .. إنه معجزة .

كانت الطائرة تدور فى تلك اللحظة دورة أفقية استعدادًا للهبوط ، عندما عقَّب العميد (شوقى) قائلًا :

ــ هل تعلم يا سيِّدى أى لقب أطلقته إدارة المخابرات على هذا الرجل ؟.. إنهم يلقبونه بـ (رجل المستحيل) .

ابتسم اللواء (فاروق) وقال :

ــ إنه يستحقَّه عن جدارة حسبما أرى .. تُرى هل نستطيع ضمّه إلى سلاح الطيران ؟

هزَّ العميد (شوقى) رأسه نفيًا ، وابتسم وهو يقول :

ــ أشكّ فى جدوى المحاولة يا سيِّدى .. لقد سبقتنا إليه القوات البحرية ، وقوبل طلبها بالرفض التام .. حتى

وزير الحربية نفسه ، قرر أن المكان الوحيد الذى يمكنه الاستفادة من القدرات الخرافية لهذا الرجل ، هو إدارة المخابرات الحربية .

قال اللواء (فاروق) بأسف ، وهو يراقب هبوط الطائرة :

ــ أعتقد أن هذا صحيح .. انظر إليه كيف يهبط على الممر ، كنقطة من الزيت النقىّ تنزلق على سطح أملس بهدوء وسرعة .. ما زلت أذكر المناورات التى شارك فيها أمس ، وكيف كان باستطاعته تدمير كل الطائرات التى اتخذت صفة العدوّ ، بمهارته العالية فى المناورة ، برغم أنه أحدث من الآخرين .

ابتسم العميد (شوقى) وقال :

ــ هذا الأمر يرجع إلى هدوئه الشديد ، وقدرته الرائعة على الاستيعاب والتحكم فى أعصابه ، واتخاذ القرارات فى جزء من الثانية ، وكأنه كمبيوتر دقيق .

قال اللواء (فاروق) بجدِّية :

— هذا عظيم .. كثير من المعارك تتبدَّل نتائجها بسبب هذا الجزء من الثانية أيها العميد .

وفى هذه اللحظة تقدم طيار برتبة ملازم ، وسلَّم ورقة مطويَّة للواء (فاروق) ، الذى فتحها ، وأخذ يقرأ ما بها ، وقد قطَّب حاجبيه ، وظهر على وجهه الاهتمام الشديد .. وما أن انتهى من قراءتها حتى ناولها للعميد (شوقى) وهو يقول :

— اطلب من المقدم (أدهم صبرى) ، أن يلحق بى فى مكتبى فور هبوطه من الطائرة .. أخبره أن الأمر عاجل جدًّا .

قرأ العميد (شوقى) الورقة ، ثم قال :

— أمرك يا سيِّدى .. ولكن هذه الرسالة تبدو عادية ، ولا تحتاج إلى كل هذا القلق .. إنها تقول : « إلى المنزل يا (ن — ١) الجليد ينهمر » .

قطَّب اللواء (فاروق) حاجبيه ، وقال :

— (ن — ١) هو الرقم الكودى للمَقدم (أدهم

صبرى) ، إنهم يطلبونه فى إدارة المخابرات ، ولكنهم هكذا دائمًا يحيطون أعمالهم بسريَّة بالغة ، حتى لو تعلَّق الأمر باستدعاء أحد رجالهم .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجه العميد (شوقى) وهو يقول :

— هذا أفضل يا سيِّدى .. ثم إن هذا ليس رجل مخابرات عاديًا .. إنه (أدهم صبرى) .. رجل المستحيل .

* * *



٢ — مهمة صعبة ..

وقف (أدهم صبرى) بثبات أمام مدير المخابرات الحربية ، وبجواره وقفت زميلته (منى توفيق) .. أشار مدير المخابرات إليهما بالجلوس ، وقال :

— مرحبًا أيها المقدم .. مرحبًا أيتها الملازم .. أتعشَّم أن تكونا فى خير حال .

ثم تناول بضعة أوراق أمامه ، وأخذ يتفحَّصها قليلًا ، ثم قال :

— أنتما تعلمان بالطبع أن سلاحنا الجوِّىَّ يضم عددًا من الطائرات (الميج) السوفييتية الصنع ، وأن عددًا من طيارينا يجيد قيادة هذا النوع من الطائرات .. ولكن الذى لا تعلمانه ، أننا بصدد التعاقد على دفعة جديدة من الطائرات المقاتلة السوفييتية المعدَّلة ، وأن أحد طيارينا كان فى الاتحاد السوفييتىّ ، للتدرُّب على استعمال هذا النوع المعدَّل .. ولكن ....

صمت مدير المخابرات قليلًا ، ثم تابع قائلًا :

— ولكن هذا الطيَّار قد قتل فى ظروف غامضة ، واختفى عدد من المستندات التى كانت بحوزته ، والخاصة بسلاح الطيران المصرى ، وهذه المستندات سريَّة للغاية .

قال (أدهم) بجدِّية :

— هذا يعنى أن علينا البحث عن هذه الـ ....

قاطعه مدير المخابرات قائلًا :

— نحن نعلم من المسئول عن قتل طيارنا أيها المقدم .. ونعلم أن المستندات بحوزته الآن .. كما نعلم بصورة مؤكدة أن هذا المسئول عميل للمخابرات المعادية ، التى تخصَّصت فى قتالها يا (أدهم) ، ولكنه لم يقم بتسليمها إليهم بعد ، إذ أنه من الخطر إرسال أية مستندات بالبريد ؛ لأن البريد يخضع للرقابة الشديدة فى الاتحاد السوفيتى .. كما أن هذا الرجل لا يستطيع المخاطرة بزرع الشك حول منصبه ، بإرسال رسالة

شفرية إلى المخابرات المعادية ، تحتوى على الأسرار الواردة فى المستندات .. كل ما فعله هو أنه أبلغهم بنجاح مهمته ، وينتظر الآن قدوم أحد رجالهم ليتسلم المستندات .. وسيصل رجل المخابرات المعادى إلى روسيا بعد غد لتسلّم المستندات .

أطلق (أدهم) صفيرًا قصيرًا ، على حين قطّبت (منى) حاجبيها ، وقالت :

ـــ علينا إذن أن نحصل على المستندات بأية طريقة ، قبل وصول ضابط المخابرات المعادى .

ضم مدير المخابرات كفّيه ، وقال :

ـــ هذا سليم أيتها الملازم .. كان من الممكن أن تكون هذه المهمة معقولة ، لولا أننا سنضطر للعمل داخل الاتحاد السوفيتى .. وهم هناك شديدو الحذر ، يجرى الشك فى عروقهم مجرى الدم ؛ ولذلك فهم يعتبرون كل أجنبى يدخل دولتهم عدوًّا وعميلًا حتى يثبت العكس .. سيراقبونكما بدقّة منذ وصولكما

وحتى رحيلكما .. ستكون مهمتكما محفوفة بالخطر فى كل لحظة ، وسيكون عليكما أن تتثبّتا من موضع أقدامكما جيدًا قبل اتخاذ أية خطوة ، وستفتش حقائبكما فى المطار ، ولن يسمح لكما بالتجوال إلا فى مناطق محددة ، وما عدا ذلك يحتاج إلى تصريح خاص .

ابتسم (أدهم) ، وقال بهدوء :

ـــ كل هذا يمكن التغلّب عليه يا سيّدى .

هزّ مدير المخابرات رأسه ، وقال :

ـــ ربما أيها المقدم .. ولكن الخطر الأكبر يكمن فى شخصية العميل الروسى ، الذى يحمل المستندات .

ثم صمت قليلًا قبل أن يلقى بقنبلته قائلًا :

ـــ إن هذا العميل هو مدير الشرطة بموسكو .. مدير الشرطة شخصيًّا .

قطّب (أدهم) حاجبيه ، على حين رفعت (منى) حاجبيها بدهشة ، وتمتمت :

ـــ يا إلهى !! مدير الشرطة ؟.. وكيف توصّلتم إلى هذا يا سيّدى ؟

ابتسم مدير المخابرات وهو يجيبها قائلًا :

ـــ حتى نحن لنا عملاؤنا أيتها الملازم .

وهنا قال (أدهم) مقاطعًا بجدّية :

ـــ أعتقد أنه من الأفضل أن أعمل وحدى فى هذه المرة يا سيّدى .

هزّ مدير المخابرات رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ بالعكس أيها المقدم .. رجل وحيد يثير من الشك أضعاف ما يثيره رجل وزوجته .

رفعت (منى) حاجبيها دهشة ، وقالت :

ـــ زوجته ؟

قال مدير المخابرات باهتمام :

ـــ هذه هى الصفة التى ستنتحلانها فى هذه المهمة أيتها الملازم ، ولقد تم حجز مكانين لكما فى رحلة سياحية إلى الاتحاد السوفيتى ، وستنطلق الطائرة بعد ساعة واحدة من الآن .. وكان من المفروض أن تكونا فى المطار منذ نصف ساعة على الأكثر ؛ ولذا فلقد أعددنا

حقائبكما ، وستتوجهان إلى المطار فى الحال .

ثم التفت إلى (أدهم) ، وقال :

ـــ لن يمكنك حمل مسدسك هذه المرة أيها المقدم ، ولقد أمرت المكتب الفنى رقم (عشرة) بإعداد بعض الأسلحة بريئة المظهر ، وعليك بالمرور على المكتب ليشرح لك الدكتور (فهيم) كيفية استخدامها وفوائدها .

واستند إلى مقعده وهو يراقب انصرافهما ، وتمتم بصوت خافت :

ـــ وفّقكما الله يا ولدىّ .. الله معكما .

* * *



٣ ـ القلق ..

هبطت الطائرة التابعة لشركة مصر للطيران فى مطار موسكو الضخم ، وأحكم ركابها إغلاق معاطفهم ، عندما تبيَّن لهم الجليد الذى يغطى قمم الأبنية والأراضى فى مثل هذا الوقت من السنة .

ارتعد جسد (منى) حتى قبل أن تهبط من الطائرة ، وقالت وهى تتأبَّط ذراع (أدهم) :

ـ الجوّ بارد جدًا هنا .. إننى أرتعد من شدَّة الصقيع .. أعتقد أن درجة البرودة تقل عن الصفر المئوى .

ابتسم (أدهم) ، وقال متهكمًا :

ـ ما زلنا فى أول الصباح .. ماذا ستفعلين إذن عندما يحلّ المساء ؟. إن درجة البرودة تنخفض بمقدار سبع درجات مئوية على الأقل .

سرت رِعدة فى جسد (منى) عند سماعها لهذه العبارة ، وقالت :

ـ ستتجمَّد أنفاسى ، حتى تعجز عن الخروج من رئتى .

ضحك (أدهم) ، وقال وهما يهبطان سلم الطائرة :

ـ هراء .. ستعتادين الأمر بعد ساعة واحدة .

وفى المنطقة الجمركية تم تفتيش حقائبهما بدقة ، واحتجز مكتب الأمن جوازى سفرهما ، ومنحهما بدلًا منهما تصريحى إقامة .. وقال رجل الأمن ببرود وهو يناولهما التصريحين :

ـ ستستعيدان جوازيكما عند مغادرة البلاد .

وما أن خرجا برفقة الوفد السياحى ، حتى مالت (منى) على أذن (أدهم) ، وهمست بضيق :

ـ لقد بدأت أشعر بالملل من نظام الأمن فى هذا البلد .

ابتسم (أدهم) ولم يعلِّق ، وظلَّ على صمته حتى وصل الوفد السياحى إلى الفندق المعدّ لإقامته بواسطة

حافلة خاصة .. وفى الفندق روجعت أسماؤهم بدقة ، وتم توزيع الغرف على الجميع ، ونبَّههما مشرف الرحلة إلى ضرورة التواجد فى الواحدة بعد الظهر ، لبدء الرحلة السياحية .. وما أن استقرا فى غرفتهما حتى زفرت (منى) بضيق ، وقالت :

ـ كيف سنصل إلى هدفنا فى هذا البلد ؟. إنهم يُحصون أنفاسنا .

ضحك (أدهم) بسخرية ، وقال وهو يتناول يدها :

ـ دعينا نحاول أولًا ، ثم نتساءل فيما بعد .

وهبطا سويًّا إلى موظف الاستقبال بالفندق ، وسأله (أدهم) بالإنجليزية :

ـ هل يمكننا التجوال فى المنطقة حتى تحين الساعة الواحدة ؟

نظر إليه موظف الاستقبال بشك ، وقال بلهجة إنجليزية ركيكة :

ـ أعتقد أن هذا يحتاج إلى تصريح خاص يا سيِّدى .. ثم .. هل تتحدَّث الروسية ؟

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا أتحدث بها بالطبع ، ولكن ألا يمكننى التخاطب هنا بالإنجليزية أو الفرنسية ؟

قال موظف الاستقبال ، وهو يتظاهر بالانشغال فى بعض الأعمال الكتابية :

ـ إما أن تتحدَّث الروسية أو تنتظر مشرف الرحلة يا سيِّدى .

استدار (أدهم) إلى باب الفندق ، وقال وهو يجذب (منى) لتتبعه :

ـ حسنًا .. سأتحمل مسئولية الأمر وحدى .

صاح موظف الاستقبال بلهجة أقرب إلى الذعر :

ـ انتظر يا سيِّدى .. هذا ....

ولكن (أدهم) و (منى) لم يستمعا إلى باقى عبارته ؛ إذ كانا قد اجتازا باب الفندق ، وأسرعا الخُطَا

فى الطريق الواسع المغطّى بالثلوج .. وقالت (منى) بابتسامة :

ــ أنسير فى الاتجاه الصحيح ؟ أم أنك تخالف الأوامر فحسب ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ــ بل أخالف الأوامر فحسب .

ثم أعقب قائلًا ، وقد تبدّلت ابتسامته إلى ملامح جادّة :

ــ استمعى إلىّ أيتها الملازم .. إننا نحاول الوصول إلى شخصية هامة ، محاطة دائمًا بالحرس ، وهذه الشخصية هى مدير شرطة موسكو الرفيق (إيفان مالانخوف) .. كيف تتصوّرين أن نصل إليه ، ونحن سائحان فى رحلة سياحية هادئة ، ملتزمان ببرنامج الرحلة وأوامر المشرف ؟.. الحل الوحيد هو أن ندفعه هو إلى مقابلتنا ..

رفعت (منى) حاجبيها بدهشة ، وتوقّفت عن السير ، وقالت :

ــ ندفع مدير الشرطة شخصيًّا لمقابلتنا ؟.. وكيف ؟

قادها (أدهم) إلى أريكة خشبية فى أحد الحدائق المغطّاة بالجليد ، وجلسا قبل أن يقول :

ــ هذه هى مشكلة مهمتنا أيتها الملازم .. أن ندفع مدير شرطة موسكو لمقابلتنا .. إننى أفكّر فى هذا الأمر طوال الرحلة بالطائرة .. ولقد توصّلت إلى خطة محفوفة بالمخاطر ، ولكنها فى نظرى الطريقة الوحيدة للوصول إلى هدفنا فى هذا الوقت القصير .

نظرت إليه (منى) بمزيج من القلق والتساؤل ، فتابع قائلًا :

ــ خطتى تعتمد على أن الرفيق (إيفان) ليس مواطنًا سوفيتيًّا مخلصًا ، وإنما هو كما يعلم كلانا عميل للمخابرات المعادية .. وهذا النوع من الرجال يكون دائمًا شديد الحذر كثير الشك .. كل ما علينا هو أن نثير فضوله ، ونشعل نيران القلق فى قلبه .



قادها (أدهم) إلى أريكة خشبية فى أحد الحدائق المغطّاة بالجليد ..

أكملت (منى) العبارة بتوتّر واضح قائلة :

ــ وندفعه إلى قتلنا ، للتخلّص من هذا القلق .. أليس كذلك ؟

قطّب (أدهم) حاجبيه بضيق ، وقال :

ــ لن يفعل أيتها الملازم ، وهذا ليس مجرد تفاؤل ، وإنما هو استنتاج منطقى مبنى على مبادئ علم النفس الإجرامى .. إنه الآن ينتظر بقلق قدوم ضابط (الموساد) ، ليتسلم منه المستندات التى بحوزته ، وعندما نثير الشك فى قلبه ، فإنه سيحاول أولًا التوصّل إلى الهدف الذى نسعى إليه .. لن يجازف بقتلنا فى مثل هذه الظروف ، فربما كان وراءنا آخرون .

قطّبت (منى) حاجبيها ، وقالت :

ــ وهل ستثير شكه وقلقه بمخالفتك للأوامر ؟

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ــ هذه مجرد خطوة أولى أيتها الملازم .. والآن استعدّى للعودة إلى الفندق ، إنها الواحدة وخمس دقائق .

عادا إلى الفندق بهدوء ، و (منى) تتأبط ذراع (أدهم) ، وقد نجحت فى رسم اللا مبالاة على وجهها ، واستقبلهما باقى أفراد الرحلة بالتساؤل ، على حين قال أحد رجال الشرطة بحزم :

ـــ التجوال بدون تصريح خاص محظور على الأجانب أيها الرفيق .

هزَّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وانضم مع (منى) إلى أفراد الرحلة السياحية .. فصاح مشرف الرحلة فى وجهه بغضب :

ـــ اسمع يا سيِّد (أدمون) .. إما أن تلتزم بأوامرى أو ....

قاطعه (أدهم) ببرود قائلًا :

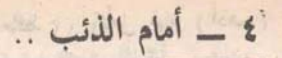
ـــ اسمعنى أنت يا سيِّد (حافظ) .. لا تنس أنك مجرد مشرف للرحلة ، لست ناظر مدرسة .. ثم إننى لا أسمح لأحد بتوبيخى إلَّا إذا أجبرنى على إطاعة أوامره .. هل تستطيع ذلك يا سيِّد (حافظ) ؟

امتقع وجه (حافظ) ، وتأمل قوام (أدهم) الرياضى ، وعضلات رقبته القوية ، ثم قطَّب حاجبيه ، وأشاح بذراعه ، وابتعد وهو يتمتم بعبارات غاضبة .. وهنا ابتسمت (منى) وقالت بصوت خافت :

ـــ يبدو أنك تنوى زرع القلق فى قلوب الجميع يا سيِّدى .

* * *





٤ ـــ أمام الذئب ..

وقف الرفيق (إيفان مالاخوف) خلف نافذة غرفة مكتبه الفاخر ، يتأمل الثلوج التى تنهمر على موسكو ، ويستمع فى نفس الوقت إلى التقرير اليومى الذى يلقيه على مسامعه سكرتيره الشاب (أليكسى) .. كان يستمع بلا مبالاة إلى العبارت اليومية المألوفة حتى قال (أليكسى) :

ـــ غادر زوجان شابان فندقهما دون تصريح ، وجوَّلا مدة نصف ساعة فى موسكو ، قبل أن يعودا إلى الفندق ، وقد أدَّى ذلك إلى تأخر الرحلة السياحية المصرية مدة ربع ساعة قبل أن ....

قاطعه (إيفان) قائلًا :

ـــ لا معنى عندى لكلمة زوجين شابين أيها الرفيق (أليكسى) .. أريد الأسماء والتفاصيل .

ارتبك (أليكسى) قليلًا ، ثم قال :

ـــ الزوج يدعى (أدمون صفوت) .. مهندس مصرى فى الخامسة والثلاثين من عمره ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، وسيم الملامح ، أسود الشعر والعينين ، حليق الذَّقن والشارب ، رياضى القوام .. أما الزوجة فتدعى (مها رياض) ، سوداء الشعر قصيرة الـ ....

قاطعه (إيفان) ، وقد قطَّب حاجبيه قائلًا :

ـــ لحظة أيها الرفيق (أليكسى) .. أعد أوصاف الزوج مرة ثانية .

أعاد (أليكسى) أوصاف الزوج بتمهُّل ، وما أن انتهى منها حتى ازداد تقطيب حاجبى (إيفان) ، وتمتم بصوت خافت :

ـــ يا للشيطان !! هذه الأوصاف !!.

ثم التفت إلى (أليكسى) ، وقال :

ـــ أريد جواز السفر الخاص بهذا الرجل .. أريده فى الحال .

انصرف (أليكسى) مسرعًا لإحضار جواز سفر

(أدهم) ، على حين اتجه (إيفان) إلى مكتبه ، وفتح أحد أدراجه ، وأخرج منه صورة مرسومة بدقة لـ (أدهم صبرى) ، وجلس على مقعده ، وأخذ يتأمل الصورة بدقة ، ثم قال لنفسه بقلق :

ـــ هذه الصورة مرسومة بدقة ، بناء على الأوصاف التى أدلى بها الجنرال (حاييم شيمون) ، ذلك الداهية العجوز .. بعد أن أوقع به هذا الشيطان المصرى المدعو (أدهم صبرى) مرتين .. إنهم يقولون : إن هذا الشيطان هو العدوّ الأوّل (للموساد) .. وأنه هزم أقوى رجالهم .

ثم ابتسم بشراسة وخبث ، وهو يقول :

ـــ لو أنه نفس الرجل ، فهذا يعنى أنه هنا وراء المستندات .. ولكنه سيواجه غريمًا يختلف عن سابقيه .. وعلى أرض الجليد .. الجليد الذى يزينه العلم الأحمر .

عاد (أليكسى) بسرعة ، حاملًا جواز السفر

الخاص بـ (أدهم) ، وناوله لرئيسه بعد أن أدّى له التحية العسكرية ..

تناول (إيفان) الجواز وفتحه ، وما أن ألقى نظرة على صورة صاحبه ، حتى افترّ ثغره عن ابتسامة وحشية ، وتمتم قائلًا :

ـــ إذن فهو أنت أيها الشيطان !!

ثم رفع رأسه إلى (أليكسى) وقال :

ـــ أريد هذا الرجل وزوجته هنا ، فى إدارة الشرطة أيها الرفيق (أليكسى) .

أدّى (أليكسى) التحية لرئيسه ، وقال :

ـــ أمرك يا سيّدى .. سآمر بإحضارهما فى الحال .

ازدادت ابتسامة (إيفان) شراسة ، وهو يقول لنفسه بصوت خافت :

ـــ أريدهما من أجل حديث خاص .. حديث دموىّ .

* * *

عند عودة الرحلة السياحية من أول جولاتها ، كان

فى انتظارها ثلاثة من رجال الشرطة السوفيتية ، يحملون المدافع الرشاشة .. تقدم أكبرهم رتبة من مشرف الرحلة ، وسأله بالإنجليزية بصوت مسموع :

ـــ نريد المدعو (أدمون صفوت) وزوجته .. مدير الشرطة يطلبهما شخصيًا .

ابتسم (أدهم) ابتسامة صغيرة ، على حين شعرت (منى) برجفة فى أوصالها ، عندما أشار إليهما المشرف ، وقد ومضت عيناه بنظرات الشماتة .. تقدم رجل الشرطة الروسىّ من (أدهم) و (منى) ، وقال بلهجة جافة وهو يضع يده على كتف (أدهم) :

ـــ تقدّم معى دون مقاومة أيها الرفيق (أدمون) .

ولدهشة الجميع هزّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وقال بلهجة ساخرة :

ـــ ولماذا أقاوم أيها الرفيق ؟ إننى أنتظر هذا اللقاء بفارغ الصبر .

وبعد نصف ساعة تقريبًا اجتاز (أدهم)

و (منى) ، بصحبة رجال الشرطة الثلاثة باب غرفة مكتب (إيفان) ، الذى ابتسم بنصر ، وعاد بمقعده إلى الوراء ، واضعًا إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وهو يقول بلهجة ساخرة وباللغة الإنجليزية :

ـــ مرحبًا بك فى موسكو أيها الرفيق (أدمون) .

ثم ابتسم بخبث ، وأردف قائلًا :

ـــ أم أنك تفضل أن أدعوك بالرفيق (أدهم صبرى) ؟

اتسعت حدقتا (منى) ذعرًا ودهشة ، على حين ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال ببرود :

ـــ مرحى أيها الرفيق (إيفان) .. سنلعب بأوراق مكشوفة إذن .

برقت عينا (إيفان) وهو يقول :

ـــ أنا لا أجيد اللعب أيها الرفيق (أدمون) ، ولكننى أجيد مهارات أخرى .

ضحك (أدهم) ضحكة تهكمية قصيرة ، وقال بخبث :

ــ كالتجسُّس لصالح (الموساد) مثلًا أيها الرفيق .

شحب وجه (إيڤان) ، وألقى نظرة سريعة على سكرتيره ورجال الشرطة الثلاثة ، ليتأكد أن أحدًا منهم لم يفهم هذه العبارة التى قالها (أدهم) بالإنجليزية .. ولكن اسم (الموساد) جعل (أليكسى) يقطّب حاجبيه ، برغم عدم معرفته للغة الإنجليزية .. والتفت (إيڤان) إلى (أدهم) وقال بشراسة :

ــ يبدو أن الأوراق مكشوفة أكثر من اللازم أيها الرفيق (صبرى) .. ما الذى تعلمه أيضًا ؟

توتَّر أحد رجال الشرطة فى وقفته .. ذلك الذى تحدَّث إلى (أدهم) بالإنجليزية .. فهو الوحيد الذى فهم هذا الحوار الذى دار بين رئيسه و (أدهم) . وهذا ما توقعه الأخير ، وما استهدفه عندما نطق بعبارته ، متهمًا (إيڤان) بالتجسُّس لصالح (الموساد) .. وعندما لاحظ (أدهم) توتُّر الشرطى الروسى ابتسم وأجاب قائلًا :

ــ ألا تكفيك معرفتى بعلاقتك مع (الموساد) ؟

تنبَّه (إيڤان) فى تلك اللحظة إلى توتُّر الشرطى ، وإلى فهمه للحوار ، فقال متظاهرًا بالغضب :

ــ ما معنى هذه الأكاذيب التى تنطق بها أيها الرفيق ؟ هل تظن أن بذرك الاتهامات سينقذك من العقوبة ؟

ثم ابتسم ابتسامة شرسة ، وقال :

ــ هل تعلم أيها الرفيق (صبرى) ؟ عندى العلاج الكافى لتنشيط ذاكرتك ، وإسكات لسانك .

هزَّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وقال بابتسامته الساخرة :

ــ لن يفيدك قتلى أيها الرفيق الخائن .

اتسعت ابتسامة (إيڤان) ، وازدادت شراستها ، وهو يقول بهدوء :

ــ ومن قال إننى أفكر فى هذا ؟ إن علاجك

يتلخَّص فى برودة (سيبيريا) أيها الرفيق .. وهذا ما نفعله عادة بالجواسيس .

* * *



سرت رعدة الخوف فى أوصال (منى) ، عند سماعها (إيڤان) وهو يهدد بنفيهما إلى معتقل (سيبيريا) أحياء .. تلك المنطقة التى يقول عنها الروس : إن النيران تتجمد فيها .. قليلون هم من غادروا معتقل سيبيريا أحياء .. وبرغم هذا ابتسم (أدهم) بسخريته المعهودة ، وقال :

ــ كنت أفضل تأجيل هذه الزيارة لفصل الصيف أيها الرفيق (إيڤان) .. يقولون إن درجة البرودة ترتفع فى الصيف ، لتصل إلى الصفر المئوى فقط ، وهذا يناسب تعليمات طبيبى .

ضغط (إيڤان) على أسنانه غيظًا ، وقال بلهجة تهديد :

ــ حتى روح الدعابة التى تتحلَّى بها ستتجمَّد أيها الوغد ، عندما أرسلكما إلى (سيبيريا) .

ثم هبَّ واقفا ، وعقد أصابع كفيه خلف ظهره ، وهو يقول بغضب :

ــ وستزحف على ركبتيك وقتئذ لأعفو عنك .

وفجأة حدث أعجب شيء رأته (منى) فى حياتها ، إذ تبدَّلت سخرية (أدهم) إلى لهجة متوسِّلة ، وتحوَّلت ملامحه الساخرة إلى الهلَع ، واقترب من مكتب (إيڤان) قائلًا :

ــ أرجوك يا سيّدى .. كنت أمزح فقط .. أرجوك .

صاحت (منى) بثورة وتصميم :

ــ لا يا (أدهم) .. لا تتوسَّل أبدًا .. لا تتـ ....

وبترت عبارتها فجأة ، واتسعت حدقتاها عن آخرهما ، تحرَّك رجال الشرطة فى محاولة يائسة لإنقاذ الموقف ، عندما قفز (أدهم) كالفهد ، مجتازًا المكتب الضخم .. وفى ثانية واحدة التفت ذراعه اليسرى حول عنق (إيڤان) بقوة ، والتقطت يمناه فتاحة الخطابات المعدنية الموضوعة على المكتب ، وغرس طرفها فى رقبة



قفز (أدهم) كالفهد ، مجتازًا المكتب الضخم .. وفى ثانية واحدة التفت ذراعه اليسرى حول عنق (إيڤان) ..

(إيڤان) ، الذى صرخ بمزيج من الألم والرعب ، على حين أطلق (أدهم) ضحكة عالية ساخرة ..

توقَّف رجال الشرطة بارتباك ، وظهرت الحيرة فى عيونهم ، واتجهت فوَّهات مدافعهم الرشاشة إلى حيث يقف (أدهم) ممسكًا برئيسهم ، وتردَّد كل منهم فى اتخاذ قرار فورى ، وهنا شدَّد (أدهم) الضغط على عنق (إيڤان) ، وقال لـ (منى) بلهجة ساخرة :

ــ يبدو أن تمثيلى كان رائعًا إلى الحدّ الذى أقنعك يا عزيزتى .. كان يجب أن تثقى أن (أدهم صبرى) لا يتوسَّل أبدا ، حتى لو أرسلوه إلى الجحيم نفسه .

ثم خاطب (إيڤان) ، وهو يغوص فى عنقه قليلًا بفتاحة الخطابات قائلًا :

ــ مُرْ رجالك بإلقاء أسلحتهم والاستسلام فورًا أيها الوغد ، وإلَّا غيبت هذا النصل حتى المقبض فى عنقك .

صاح (إيڤان) مخاطبًا رجاله باللغة الروسية ، وهو يرتعد فزعًا :

ــ ألقوا أسلحتكم أيها الرفاق .. لا تعارضوا هذا الشيطان .

تردَّد الرجال لحظة ، ثم ألقى كل منهم بسلاحه ، وضم كفَّيه خلف رأسهْ .. فقال (أدهم) مخاطبًا زميلته :

ــ ستائر النوافذ مزوَّدة بعدد كبير من الحبال يا زميلتى العزيزة ، وأعتقد أنها تكفى لتقييد هؤلاء الرجال .

نظر (إيڤان) بيأس إلى (منى) ، وهى تحكم وثاق الرجال الأربعة ، وقال بصوت متحشرج :

ــ لو تصوَّرت أنك تستطيع مغادرة إدارة الأمن بهذه الطريقة ، فأنت واهم أيها الشيطان .. الخروج من هنا دون تصريح مستحيل .

ضحك (أدهم) بسخرية ، وقال :

ــ لو علمت بِمَ يلقبوننى أيها الوغد ، ما تفوَّهت بهذه العبارة .

وأردف وهو يخرج قلم حبر عادى من جيبه :

ــ هل تعلم شيئًا عن عملنا أيها الرفيق (إيفان) ؟.. لقد فتشتم حقائبنا بدقَّة ، ولكن أحدًا منكم لم يلتفت إلى هذا القلم البرىء المظهر .. إنه لا يحوى حبرًا عاديًّا أيها الرفيق .. صحيح أنه أزرق اللون ، ولكنه عبارة عن سم زعاف ، يفوق سم أفعى الكوبرا نفسها .. وهذا القلم مزوَّد بسن يشبه إبرة الحقن يا عزيزى .. هل تعلم لماذا ؟

اتسعت حدقتا (إيفان) ، وازداد احتقان وجهه بتأثير ضغط (أدهم) على رقبته ، ونصل فتاحة الخطابات الذى يغوص طرفه فى عنقه ، بالإضافة إلى ذعره الشديد عندما سمع عبارة (أدهم) الأخيرة .. فقال وهو يلهث رعبًا :

ــ لا أخالك تنوى قتلى أيها الرفيق (صبرى) !!

ضحك (أدهم) ضحكة عالية ساخرة ، وقال وهو يشدِّد ضغط ذراعه على رقبة (إيفان) :

ــ هذا يتوقَّف على إطاعتك لأوامرى أيها الرفيق الوغد .

* * *

رفع حارس مكتب (إيفان) حاجبيه دهشة ، ودق الأرض بكعبه ، مؤكدًا وقفته العسكرية الثابتة ، عندما شاهد رئيسه يخرج من مكتبه ، متأبطًا ذراع (أدهم) وخلفهما (منى) .. ولكن الحارس لم يجرؤ حتى على إظهار دهشته للموقف ، واكتفى باختلاس النظر إلى الثلاثة وهم يتجهون إلى الدَّرَج ، ثم هزَّ كتفيه بلا مبالاة ، وعاد إلى وقفته المتحجِّرة وقد اطمأن إلى الابتسامة الزائفة المرتسمة على وجه رئيسه ، الذى كان يقول لـ (أدهم) بالإنجليزية :

ــ لن يفيدك هذا الأمر أيها الرفيق (صبرى) .. سيكشفون أمرك بسرعة ، ولن تنجح فى مغادرة الاتحاد السوفيتى حيًّا أبدًا .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يمسك بقلمه بشكل تهديدى خفىّ :

ــ لا داعى لقلقك أيها الوغد .. عليك فقط المحافظة على هذه الابتسامة ، وإلَّا غرست هذا القلم المسموم فى ذراعك .

واصل الثلاثة سيرهم حتى مدخل إدارة الأمن ، و (إيفان) يردّ التحيات الرسمية لرجاله ، وهو يرتعد خوفًا من هذا الشيطان المسمَّى (أدهم صبرى) ، الذى يتعلَّق بذراعه ممسكًا بقلم مسموم .. وما أن أصبحا أمام سيارة (إيفان) ، حتى أسرع سائقها يتخذ مكانه أمام عجلة القيادة ، ولكن (إيفان) قال له :

ــ سأقود بنفسى هذه المرة .

ظهرت الدهشة على وجه السائق ، الذى لم يعتد أن يقود رئيسه سيارته بنفسه أبدًا ، ولكنه أطاع الأمر ، ووقف بجوار السيارة صامتًا ، على حين فتح (أدهم) الباب الخلفى ، ودعا (منى) للركوب .. وعندما استعد (إيفان) للجلوس أمام عجلة القيادة ، لم يكن هناك مفر من أن يترك (أدهم) ذراعه ، ولكنه قبل

ذلك ناول القلم لـ (منى) ، الذى وضعته على ذراع (إيفان) من المقعد الخلفى ، مهددة بأن تغرسه عند أية بادرة للخيانة ..

ودار (أدهم) حول مقدمة السيارة ، واستقل المقعد المجاور لـ (إيفان) الذى أدار المحرِّك ، وضغط بقدمه على دوَّاسة البنزين .. كان لا بد من الانتظار قليلًا قبل الانطلاق بالسيارة بسبب البرودة الشديدة ، فناولت (منى) القلم لـ (أدهم) قائلة :

ــ موقعك أفضل يا سيّدى .

وكأن (إيفان) كان ينتظر هذه اللحظة ، إذ أنه دفع باب السيارة ، وقفز خارجًا فى نفس اللحظة التى أبعدت (منى) القلم عن ذراعه ، وقبل أن يتناوله (أدهم) .. وصاح (إيفان) بالروسية بصوت عالٍ مخاطبًا حرَّاس المبنى :

ــ أطلقوا النار .. إنهما جاسوسان .. أطلقوا النار .

كان الموقف مفاجئًا للجميع ، فانتزع الحرَّاس

مدافعهم الرشاشة ، وقفز السائق إلى الخلف بحركة حادَّة ، وأسرع (إيڤان) يعدو مبتعدًا عن السيارة ..

كان الأمر فى هذه اللحظة يعتمد على سرعة استجابة الأطراف المتصارعة .. وهذا هو المجال الذى يبرع فيه رجل المستحيل .. إذ قفز (أدهم) إلى مقعد القيادة وحرَّك ذراع السرعة ، وانطلق بالسيارة قبل أن تنطلق رصاصة واحدة ، ولكن عدة رصاصات من المدافع الرشاشة التى يحملها الحراس أصابت مؤخرة السيارة ، وهى تبتعد بسرعة منزلقة على الجليد الذى يغطى الشارع .. وصاحت (منى) بمزيج من الدهشة والذُّعر :

ــ احترس يا سيِّدى من جنون الانطلاق بمثل هذه السرعة على أرض زلقة مغطَّاة بالجليد .

قال (أدهم) بقسوة ، وهو يغلق الباب الذى قفز منه (إيڤان) :

ــ اصمتى أيتها الملازم .. التوقُّف الآن أكثر خطورة .

صاحت (منى) وجسدها يرتجّ بسبب انطلاق السيارة ، وانحرافاتها الخطيرة :

ــ لن ننجح فى الهرب بسيارة مدير الشرطة يا سيِّدى .. كل رجال الشرطة فى موسكو يحفظونها عن ظهر قلب .. ولا تنس أن عدد السيارات محدود للغاية هنا .

قال (أدهم) بلهجة تهكُّمية لاذعة ، وهو يقبض على عجلة القيادة بقوة :

ــ شكرًا أيتها الملازم .. أنت حقًّا خير رفيق لرجل مخابرات .. إنك تحطِّمين المعنويات بأكثر مما يستطيعه الأعداء .

احتقن وجه (منى) ولاذت بالصمت ، على حين أردف (أدهم) قائلًا بلهجته الساخرة :

ــ يا له من موقف !.. نهرب فى سيارة معروفة ، وفى قلب موسكو .. وإدارة الشرطة بأكملها فى أثرنا ..

حسنًا .. لقد كنا بحاجة إلى بعض النشاط حتى يسرى الدفء فى أوصالنا .

انكمشت (منى) فى مقعدها مقطِّبة حاجبيها ، ولم تنطق بكلمة واحدة .

* * *



٦ ــ الاختفاء ..

شعر (إيڤان) بالغضب يعصف بكيانه ، وهو يشاهد سيارته التى يقودها (أدهم) تنطلق ، غير مبالية بالثلوج ولا الرصاص الذى ينهال على مؤخرتها كالمطر .. وما أن اختفت السيارة ، حتى ضرب قبضته اليمنى فى راحته اليسرى ، وهو يضغط أسنانه غيظًا ، ثم أسرع إلى داخل إدارة الأمن وهو يصيح بغضب :

ــ أبلغوا كل دوريات الأمن .. لا بدَّ من إلقاء القبض على الجاسوسين .. أو قتلهما إذا اقتضى الأمر ..

قال أحد الرجال بتردُّد :

ــ ألا ينبغى إخطار إدارة مكافحة التجسُّس يا سيِّدى ؟

صاح (إيڤان) بقوة ، وقد اشتعل الغضب فى ملامحه :

ــ سأفصل أول من يفعل ذلك .. سأتولى هذا الأمر بنفسى .. هل سمعتم ؟

وأسرع يصعد إلى مكتبه ، معنفًا كل من يقابله ، وأصدر أمرًا بحل وثاق سكرتيره (أليكسى) ورجال الشرطة الثلاثة .. وتمتم (أليكسى) فى محاولة للاعتذار :

ــ كدت أتدخل يا سيّدى ، ولكننى خشيت أن أعرّض حياتك الثمينة للخطر .

أشاح (إيفان) بذراعه غاضبًا ، وصاح :

ــ انصرف الآن أيها الرفيق (أليكسى) .. سنناقش هذا الأمر فيما بعد .. أريد البقاء وحدى .

وقبل أن يغلق (أليكسى) الباب خلفه ، صاح به (إيفان) :

ــ لا تسمح لأحد بالدخول .. وأبلغنى بتطوّرات الموقف أولًا فأولًا .

وما أن أغلق (أليكسى) الباب ، حتى أخرج

(إيفان) مفتاحًا صغيرًا ، وفتح به درجًا سريًّا مُخفًى بمهارة أسفل المكتب ، وأخرج منه عدة أوراق ، وضعها على المكتب ، وسلّط عليها ضوء المصباح الصغير الموضوع أمامه ، ثم أخرج آلة تصوير ميكروفيلمية صغيرة من خزانته ، وقال لنفسه وهو يعد الآلة للاستعمال :

ــ لم يعد الأمر آمنًا كما كان من قبل .. لا بدّ من التخلّص من هذه المستندات فور تصويرها .

ثم تمتم بصوت خافت غاضب ، وهو يلتقط أول الصور :

ــ تبًّا لرجال (الموساد) هؤلاء .. لِمَ لَمْ يبكّروا بإرسال رجلهم ؟

استغرق تصوير المستندات لحظات طويلة ، انهمك (إيفان) خلالها محاولًا إتقان عمله .. وما أن انتهى حتى فتح الخاتم الضخم الذى يزين يده اليمنى ، وأخرج الميكروفيلم من آلة التصوير ، ووضعه فى فراغ الخاتم



وما أن انتهى حتى فتح الخاتم الضخم الذى يزين يده اليمنى ، وأخرج الميكروفيلم من آلة التصوير ، ووضعه فى فراغ الخاتم ..

الذى أعد خصيصًا لأغراض مماثلة ، ثم أخرج قداحته ، وأشعل النار فى المستندات ، ووقف يراقبها حتى التهمتها النيران تمامًا .. وتنهد بارتياح ، فى نفس اللحظة التى انبعث فيها صوت سكرتيره (أليكسى) من خلال جهاز الدكتافون قائلًا :

ــ يؤسفنى أن أزعجك يا سيدى ، ولكن هناك أخبارًا بشأن سيارتك .

ضغط (إيفان) زرّ الدكتافون ، الذى يتيح لـ (أليكسى) سماع صوته ، وسأله باهتمام بالغ ولهفة :

ــ هل اعتقلوا الجاسوسين أو قتلوهما ؟

تردّد (أليكسى) قليلًا ، ثم قال بارتباك :

ــ فى الواقع يا سيّدى أنهم لم ... أعنى أن رجالنا قد وجدوا السيارة ، ولكن ....

صاح (إيفان) بغضب شديد :

ــ ولكن ماذا أيها الرفيق ؟

قال (أليكسى) بسرعة ، وكأنه يخشى أن يغلبه التردّد مرة أخرى :

— لقد وجدوها خالية يا سيّدى ، ولم يجدوا أثرًا للجاسوسين .

مرّت لحظة صامتة مملوءة بالقلق ، قبل أن يقول (إيفان) بصوت يقطر بالمرارة والغضب :

— وزعوا نشرة بأوصافهما على كل رجل أمن فى موسكو .. علّقوا صورهما فى الشوارع والمحطات الرئيسية .. اعتقلوا كل من لا يتحدث الروسية فى موسكو .. لا تتركوا لهما ثغرة واحدة ، ولا حتى جحر فأر للاختفاء فيه .. أريدهما قبل مساء الغد .. بأى ثمن .

ثم قطع الاتصال ، وقال لنفسه بغضب :

— قبل أن يصل ضابط (الموساد) .. تبًّا لهم وللموقف الذى وضعونى فيه .

* * *

٧ — مفاجأة وسط الثلوج ..

أمسكت (منى) كتفيها بكفّيها ، محاولة منعهما من الارتعاد بسبب البرودة الشديدة ، وقالت وهى تتأمل (أدهم) ، الذى انهمك فى إشعال النار فى بعض الأخشاب :

— لقد ساعدنا الحظ حتى الآن يا سيادة المقدم ، ولكننا ما زلنا فى موقف عصيب .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال :

— أنا لا أومن بكلمة الحظ هذه أيتها الملازم ، وإنما أطلق عليها اسم التوفيق الإلهى ، وهذا التوفيق هو الذى يساعدنا على استنباط الخطوات المنطقية الصحيحة فى كل المواقف ..

قالت (منى) وهى تشعر بالدفء يدبّ فى أوصالها ، بعد ما نجح (أدهم) فى إشعال النار :

— هل كنت تعلم موضع هذا الكوخ الجبلى مسبقًا يا سيّدى ؟

أجابها (أدهم) وهو يقلّب الأخشاب المشتعلة فى المدفأة القديمة :

— تقريبًا أيتها الملازم .. فأنا أعلم أن هذه الأكواخ الجبلية تكون خالية دائمًا فى شتاء موسكو القارس .. وهى المكان الوحيد الذى يمكننا الالتجاء إليه فى مثل هذه الظروف .. فمن الطبيعى أن تكون أوصافنا محفوظة الآن فى كل أنحاء موسكو ، وربما فى الاتحاد السوفيتى بأكمله .

ابتسمت (منى) بقلق وقالت :

— يا لها من أخبار مطمئنة !! وكيف سنؤدى مهمتنا فى ظل هذه الظروف يا سيّدى ؟ أم أننا سنقضى عمرنا كله فى هذا الكوخ الجبلى محاطين بالجليد ؟

قطّب (أدهم) حاجبيه ، وقال :

— لست أنكر صعوبة الموقف أيتها الملازم .. صحيح أننا غادرنا السيارة فى الوقت المناسب ، ونجحنا فى قطع طريق طويل وسط الجليد ، حتى وصلنا إلى هنا دون أن

نقع فى أيدى الشرطة السوفيتية .. ولكن هذا يعنى أن مهمتنا ازدادت تعقيدًا ، والوقت يمرّ بسرعة .

تردّدت (منى) قبل أن تقول :

— أخشى أن أقول يا سيّدى ، إن مهمتنا قد أضحت مستحيلة حقًّا .

ابتسم (أدهم) بهدوء ، وقال :

— وهذا ما يجعلها أقرب إلى طبيعتى أيتها الملازم ..

ثم أردف وهو يلقى ببعض الأخشاب الجافة فى المدفأة :

— المهم أن نحافظ على هدوء أعصابنا ، حتى يقودنا تفكيرنا إلى الحل الصحيح .. وخصوصًا أن الأخشاب الباقية لا تكفى وقتًا طويلًا ، وبعدها سنتجمّد بردًا بالتأكيد .

وعاد يقطّب حاجبيه وهو يقول :

— وسنصل إلى مخرج بإذن الله .. لن نختبئ هنا

كالفئران ونترك المستندات لتقع فى أيدى (الموساد) .. هذا هو ما أسميه المستحيل .

* * *

اجتاز شرطى سوفيتى بخطوات مترددة باب مكتب إدارة مكافحة التجسس فى موسكو ، وجلس على مقعد قريب ، بناء على إشارة الشاب النحيل الأشقر ، الذى يجلس خلف مكتب صغير .. ظل الشاب يتأمله فترة ، ثم قال بصوت هادئ :

ـ هات ما عندك أيها الرفيق (يوريوف) .

ابتلع (يوريوف) ريقه بصعوبة ، وقال بعد فترة قصيرة من التردد :

ـ أنت تعلم أيها الرفيق (ميخائيلوف) ، أننى أعمل فى إدارة شرطة أمن موسكو برتبة عريف ، وأننى أجيد الإنجليزية .

أومأ (ميخائيلوف) برأسه علامة الموافقة ، وانتظر صامتًا ، تاركًا الفرصة لـ (يوريوف) حتى يكمل حديثه ، فتابع هذا قائلًا :

ـ صباح اليوم أمرنى الرفيق (إيفان مالاخوف) مدير الشرطة ، أنا وزميلين بالقبض على رجل مصرى وزوجته ، حضرا برفقة وفد سياحى ، وأمر بإحضارهما إلى مكتبه ، وهناك تحدث إليهما بالإنجليزية ، ولقّب المصرى باسم (أدهم صبرى) ، بالرغم من أننا ألقينا القبض عليه تحت اسم (أدمون صفوت) .

قطّب (ميخائيلوف) حاجبيه ، وبان الاهتمام الشديد على وجهه وهو يستمع إلى (يوريوف) ، الذى تابع قائلًا :

ـ ولقد قال المصرى إن الرفيق (إيفان) يعمل لحساب (الموساد) .

اتسعت حدقتا (ميخائيلوف) دهشة ، ثم ابتسم بخبث ، وقال لنفسه :

ـ ها قد حانت لحظة الترقّى التى تنتظرها من زمن طويل يا (ميخائيلوف) .

ثم قال ضاغطًا على حروف كلماته :

ـ وبِمَ أجابه الرفيق (إيفان) أيها الرفيق (يوريوف) ؟

قال (يوريوف) :

ـ لقد صمت مندهشًا أولًا ، ثم ثار واتهم المصرى بالكذب .. الأخطر يا سيّدى أن هذا المصرى قد تحوّل فجأة إلى شيطان ، وهجم على الرفيق (إيفان) وحوّل الموقف بأكمله لصالحه ، واضطررنا للتسليم بناء على أوامر الرفيق (إيفان) ، وخرج المصرى بصحبة الرفيق (إيفان) ، ونجح فى الهروب .

عاد (ميخائيلوف) يقطّب حاجبيه بشدة ، وهو يسأل (يوريوف) بغضب :

ـ هل تعنى أن المصرى قد هرب برغم أنف إدارة الأمن ، وتحت سمعها وبصرها ؟ هذه تعد خيانة أيها الرفيق (يوريوف) .. لماذا لم يتم إبلاغنا بهذا الأمر ؟

شحب وجه (يوريوف) ، وقال مدافعًا عن نفسه :

ـ لقد أمر الرفيق (إيفان) بعدم إبلاغ إدارتكم يا سيّدى ، ولكننى رأيت أن هذا واجبى .. أليس كذلك يا سيّدى ؟

قال (ميخائيلوف) مهدِّئًا الشرطى :

ـ بالطبع أيها الرفيق (يوريوف) .. هذا واجب كل مواطن سوفيتى صالح .

هدأت أعصاب (يوريوف) بعد سماعه هذه العبارة ، واسترخى فى مقعده ، استعدادًا للإجابة على الأسئلة التى بدأ (ميخائيلوف) فى إلقائها باهتمام بالغ .

* * *

قال (أدهم) وهو ينظر إلى النيران المشتعلة فى المدفأة :

ـ سيحلّ الظلام بعد لحظات أيتها الملازم ، ولا بدّ لنا من إحضار أخشاب إضافية ، وإلّا قضينا ليلتنا بين الظلام والبرد القارس .

نهضت (منى) بقلق ، وقالت :

ـــ ألم تتوصَّل إلى مخرج يا سيِّدى حتى الآن ؟

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ للأسف أيتها الملازم .. هذا أصعب المواقف التى مرَّت بى فى حياتى كلها .. حقيبتى فى الفندق وبها كل أدوات التنكُّر ، التى كانت ستساعدنا فى مثل هذا الموقف ، وكل الأسلحة الخفية التى ....

قاطعته (منى) قائلة بدهشة :

ـــ كل الأسلحة ؟.. وهذا القلم المسموم الذى ....

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال وهو يحكم معطفه :

ـــ مجرَّد قلم حبر عادى جدًا أيتها الملازم ، ولكن أعصاب هذا الرجل هى المسمومة .

ابتسمت (منى) على الرغم منها ، وقالت :

ـــ هل تعنى أننا خرجنا من إدارة الأمن ، وكنا نصحب مدير الشرطة بقلم عادىّ ؟! أنت تمتلك أعصابًا فولاذية يا سيادة المقدم .

ابتسم (أدهم) ابتسامة متهكمة ، وقال :

ـــ حسنًا أيتها الملازم .. المهم أن نسارع بإحضار الأخشاب ، وإلَّا ضللنا طريقنا إذا ما حل الظلام .. هيَّا .

كان قد فتح باب الكوخ الجبلى فى هذه اللحظة ، ووجهه ناحية (منى) يحدثها ، عندما فوجئ بها تتراجع إلى الخلف خطوة واحدة حادة ، وعيناها تنطقان بالذعر .. فنظر أمامه بسرعة ليفاجئه مرأى (إيڤان) ، الذى يقف عاقدًا ذراعيه مبتسمًا بشراسة ، وخلفه عدد ضخم من رجال الشرطة ، يصوِّبون مدافعهم الرشاشة إلى (أدهم) و (منى) ، وقد أحاطوا بالكوخ تقريبًا ..

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وعقد ذراعيه قائلًا بلا مبالاة:

ـــ أهنئك أيها الرفيق (إيڤان) ، لقد أثبت أنه حتى العملاء والجواسيس يتمتَّعون بالذكاء .



كان قد فتح باب الكوخ الجبلى فى هذه اللحظة ، ووجه (أدهم) ناحية (منى) يحدثها ، عندما فوجئ بها تتراجع إلى الخلف ..

وواجهه (إيڤان) بابتسامة صفراء ، وهو يقول :

ـــ الدخان المتصاعد من فوَّهة مدخنة كوخ جبلى فى مثل هذا الوقت من السنة ، يثير العديد من الشكوك يا رفيق (أدهم) .. كان غباء منك أن اخترت هذا المكان بالذات .

ضحك (أدهم) ضحكة تهكمية ، وقال :

ـــ من الصعب أن يتمتع كلانا بالذكاء يا رفيق (إيڤان) .. لا بدَّ أن يخلو أحدنا من هذه الصفة .

هزَّ (إيڤان) رأسه ، وقال :

ـــ إذن فأنت قادر على السخرية فى مثل هذا الموقف أيها الشيطان .. هذا عجيب !

أمسك (أدهم) بيد (منى) ليطمئنها ، وقال بسخرية :

ـــ هيَّا بنا إذن .. أتعشَّم أن تكون إدارة الأمن قد استعدت لاستقبالنا .

ابتسم (إيڤان) ابتسامة كريهة ، وقال :

— الإدارة مستعدة فعلًا لاستقبالكما أيها الشيطان .. إدارة دفن الموتى .

ثم تراجع إلى خلف رجاله ، وقال بهدوء :

— أطلقوا النيران .

* * *



٨ — فهد الثلوج ..

أغمضت (منى) عينيها بقوَّة ، وتوتَّرت عضلاتها ، فى انتظار سيل الرصاصات الذى سينطلق نحوها ورفيقها .. على حين أطلق (أدهم) ضحكة عالية ساخرة ، وباستثناء هذه الضحكة لم يصدر أى صوت آخر ، بل وقف رجال (إيڤان) وهم يتبادلون النظر بارتباك وحيرة ، فصاح بهم :

— لقد أمرتكم بإطلاق النار .. كيف تجرءُون على عصيان أوامرى ؟

وهنا ارتفع صوت (أدهم) ، وهو يقول ببرود تغلب على نبراته لمحات السخرية :

— لن يجرؤ واحد من رجالك على إطلاق النار هنا أيها الوغد .. لقد تنبَّهوا جميعًا إلى الحقيقة التى غابت عن ذهنك ، ربما لأن قلوبهم لا تمتلئ بالحقد مثلك ..

وازدادت لهجته تهكُّمًا ، وهو يردف قائلًا :

— دوىّ رصاصة واحدة كافٍ لبدء انهيارٍ جليدىّ بشع ، يدفن الجميع تحت الثلوج .. وهذا ما يدركه رجالك جيدًا يا رفيق (إيڤان) .. هل رأيت أنه كان من الغباء ألا يقع اختيارى على هذا المكان بالذات للاختفاء ؟

احتقن وجه (إيڤان) غيظًا ، على حين أردف (أدهم) قائلًا :

— ثم إننى تعمَّدت إشعال النيران فى المدفأة ، ليصبح دخانها هو الفخ الذى يقودك إلىَّ يا رفيق (إيڤان) .

صاح (إيڤان) بغضب :

— مزِّقوه بالسونكى أيها الرجال .. فليرتوِ الجليد بدمائه .

ولدهشة الجميع انقلب الموقف ، وبدلًا من أن يهجم الرجال على (أدهم) وزميلته ، هجم هو عليهم كالفهد .. واتسعت العيون دهشة عندما قفز (أدهم)

لكمة قوية ألقت المسكين بعيدًا ، وأنفه المحطم ينزف بغزارة ، على حين التقط (أدهم) المدفع الرشاش فى جزء من الثانية ، وسقط على ظهره مفترشًا الجليد والمدفع فى يده ، يصوِّبه إلى أكثر من خمسين شرطيًّا سوفيتيًّا و (إيڤان) .. حتى (منى) سمَّرتها الدهشة فى مكانها ، ولم تفق إلا عندما سمعت (أدهم) يقول بلهجة كلها سخرية :

— آسف يا رفيق (إيڤان) .. ليس من السهل تمزيق (أدهم صبرى) بالسُّونكى .. لا بدَّ من مجزر كامل حتى يكون هناك احتمال للنجاح .

وقف رجال (إيڤان) وقد ملأتهم الحيرة وساورهم الارتباك ، ينظرون إلى رئيسهم فى انتظار أوامره .. ولكن هذا الأخير قال ، محدِّثًا (أدهم) بالإنجليزية :

— هل تعتقد أنك تستطيع التغلُّب على كل هذا العدد ، بمدفع رشاش واحد يا رفيق (صبرى) ؟

مط (أدهم) شفتيه بلا مبالاة ، وقال بهدوء :

ـ لست بحاجة إلى كل هذا المجهود يا رفيق (إيفان) ، سأكتفي بإطلاق رصاصة واحدة .

ازدرد (إيفان) ريقه بصعوبة ، وقال :

ـ لن تجرؤ على ذلك أيها الرفيق (صبرى) .. هذا يعد انتحارًا .

ضاقت حدقتا (أدهم) ، وبرقت عيناه ببريق مخيف ، وهو يقول بابتسامة ساخرة :

ـ هل تؤمن حقًّا بأننى لن أجرؤ يا رفيق (إيفان) ؟

شحب وجه (إيفان) ولم ينطق بكلمة واحدة ، على حين استطرد (أدهم) قائلًا :

ـ والآن مُرْ رجالك بإلقاء أسلحتهم ؛ لأنك ستصحبنا فى جولة أيها الرفيق الوغد .

* * *

توقَّفت سيارة الرفيق (إيفان) فى طريق مقفر تحيط

بها التشنج ، وقال وهو يرتعد بردًا ورعبًا :

ـ لماذا أمرتنى بالتوقُّف هنا يا رفيق (صبرى) ؟ هل تنوى قتلى ؟

أجابه (أدهم) ببرود يثير الرجفة فى الأوصال :

ـ هذا يتوقَّف على تعاونك أو عدمه أيها الوغد .

قالت (منى) بهدوء :

ـ أعتقد أن قتله ينهى المهمة يا سيِّدى ، فلن يجد ضابط (الموساد) من يسلِّمه المستندات .

صاح (إيفان) بتوسُّل وذعر :

ـ لا .. أيتها الرفيقة .. سأتعاون بالتأكيد .. سأسلِّمكما المستندات مقابل حياتى .

قال (أدهم) بنفس الهدوء المرعب :

ـ أعتقد أننى أميل إلى رأى زميلتى أيها التعس .

صاح (إيفان) بصوت أقرب إلى البكاء :

ـ أرجوك أيها الرفيق المحترم .. أنتما تريدان المستندات .. سأسلِّمها لكما وتطلقان سراحى .

قطب (أدهم) حاجبيه وقال :

ـ ربما لو تعاونت .. حسنًا ، أين هى المستندات ؟

صاح (إيفان) بسرعة :

ـ فى منزلى .. سنذهب إلى هناك وأسلِّمها لكما .. وسأضمن لكما مغادرة الاتحاد السوفيتى .. سأوصِّلكما بسيارتى إلى حدود بولندا و ....

صاحت (منى) مقاطعة ، وهى تشير إلى الطريق :

ـ انظر يا سيِّدى .. هناك ضوء لعدَّة سيارات تقترب .

ألقى (أدهم) نظرة على الأضواء العديدة التى تقترب بسرعة ، وقال :

ـ فلنستدر بالسيارة ، وننطلق بعيدًا أيها الوغد .

ولكن عدة أضواء أخرى بدت فى مرآة السيارة ، وهى تقترب أيضًا بسرعة .. قطَّب (أدهم) حاجبيه وقال باللغة العربية :

ـ أعتقد يا زميلتى العزيزة أنهم بصدد محاصرتنا ..

لقد توصَّلوا إلى مكاننا بوسيلة ما .

لم يلتفت (إيفان) إلى حوارهما ، إذ كان بصره مركَّزًا فى هذه اللحظة على الأضواء التى تزداد شدة ، وقد أعادت إليه الأمل ، وتردَّدت شفتاه فى الانفراج عن ابتسامة نصر ، عندما هزَّه (أدهم) قائلًا :

ـ أسرع أيها الوغد ، سنغادر السيارة لنختفى فى الغابة المجاورة .

غادر (إيفان) السيارة بتردُّد ، وبدا وكأن بصره قد التصق بالأضواء التى أصبحت قريبة جدًّا ..

وقالت (منى) بقلق وهى تنظر إلى الأضواء بدورها :

ـ ينبغى أن نتحرَّك بسرعة وإلَّا وقعنا فى أيديهم .

وتم التحرُّك بسرعة فعلًا ، وكان (إيفان) هو الذى تحرَّك .. انطلق يعدو بسرعة فى محاولة يائسة للنجاة .. كان يعدو فى اتجاه الأضواء ، وكأن شياطين الجحيم كلها تطارده ، وهو يلوِّح بذراعيه ، ويصيح طالبًا الغوث .. صاحت (منى) :

ــ أطلق النار يا سيّدى .. اقتله فهذه فرصتنا الوحيدة .

وبدلًا من أن يفعل (أدهم) هذا ، أمسك بيدها وأخذ يعدو ، مصطحبًا إياها إلى داخل الغابة المغطّاة بالثلوج .. صاحت (منى) بذهول :

ــ لماذا لم تقتله يا سيّدى ؟ لقد أضعت آخر فرصة لنجاح المهمة .

ولكن (أدهم) لم يجبها ، وإنما استمر فى العدو وهو يجرها وراءه ، وينحرف يسارًا بثقة ، وكأنه يعلم إلى أين يذهب وسط الثلوج والظلام ..

وفى نفس اللحظة ، كان (إيفان) قد وصل إلى سيارات الأمن التى توقفت لالتقاطه ، فقال وهو يتخذ مقعده بجوار شاب أشقر ، وهو يلهث مُجْهَدًا :

ــ شكرًا أيها الرفيق .. كيف نجحتم فى تعقبنا إلى هنا ؟.. لا بدَّ أن نسرع وإلا هرب الجاسوسان .

قال الأشقر ببرود :

ــ كان هذا هو الطريق الوحيد الذى يمكن اتخاذه ، دون المرور بنقط المراقبة ؛ ولذلك حاصرناه ، وكنت متأكّدًا من وجودكما به .

ثم التفت إلى (إيفان) ، وقال بنفس البرود :

ــ أعرفك بنفسى أيها الرفيق (إيفان) .. الضابط (ميخائيلوف) من إدارة مكافحة الجاسوسية ، وأحمل أمرًا باستجوابك بشأن عدم إبلاغك عن الجاسوسين ، وبشأن صلتك بالمخابرات المسمَّاة بـ (الموساد) .

شحب وجه (إيفان) ، وانكمش فى مقعده ، دون أن ينبس ببنت شفة .

* * *



٩ ــ فى قبضة الشرطة ..

طرق رجال الشرطة السوفييتية باب كوخ خشبىّ صغير فى الغابة الشاسعة ، فأطل منه رجل أشيب الشعر ، قصير القامة بشكل ملحوظ ، يدخّن غليونًا ضخمًا ، وسألهم بدهشة :

ــ طابَ صباحكم أيها الرفاق رجال الشرطة .. ما الذى دفعكم إلى طرق باب كوخى الحقير ؟

قال أكبرهم رتبة :

ــ طابَ صباحك أيها الرفيق ، إننا نبحث عن جاسوسين .. رجل وامرأة ، هربا فى هذه الغابة .

رفع الرجل حاجبيه دهشة ، وقال :

ــ يا آلهة الكون !.. جاسوسان دفعة واحدة ؟ وما شأنى بهذا أيها الرفيق ؟

قال الشرطى متجاهلًا السؤال :

ــ معذرة أيها الرفيق ، سنقوم بتفتيش الكوخ .

فتح الرجل باب الكوخ على سعته ، وقال وهو يشير إلى داخل الكوخ :

ــ بالطبع أيها الرفيق الشرطى .. قوموا بواجبكم .

جلس الرجل على مقعد خشبى قديم ، وأخذ ينفث دخان غليونه بهدوء ، وهو يراقب رجال الشرطة السوفييتية ، وهم يبحثون بسرعة وحذر فى أرجاء الكوخ .. وسرعان ما انتهوا من مهمتهم ، وقال رئيسهم وهو يقترب من الرجل :

ــ لو وقع بصرك على أى أجنبى فى هذه الغابة ، عليك بإبلاغ إدارة مكافحة الجاسوسية فى الحال .. هل فهمت أيها الرفيق ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ بالطبع أيها الرفيق ، هذا واجب كل مواطن سوفيتى صالح .

غادر رجال الشرطة كوخ الرجل ، ووقف هو يراقبهم بهدوء من خلف نافذة زجاجية حتى ابتعدوا ، ثم

قال بنفس الهدوء وهو يعيد حشو غليونه :

ــ ها قد انقشعت الغيوم ، وليس علينا سوى فتح النوافذ .

وبهدوء أزاح المقعد الخشبى القديم ، وأمسك بحلقة صغيرة مثبّتة تحته ورفعها ، كاشفًا غرفة سرّيّة أسفل الكوخ .. قفز (أدهم) برشاقة من خلال فتحة الغرفة ، ومدَّ يده يساعد (منى) على الصعود ، وهو يقول للرجل :

ــ أحسنت يا (هاشم) .. كنت تتحدث كسوفيتى أصيل .

ابتسم (هاشم) بهدوء ، وقال وهو ينفث دخان غليونه :

ــ تلميذك يا سيادة المقدم ..

نفضت (منى) الغبار عن معطفها ، ثم قالت وهى تقطِّب حاجبيها بغضب :

ــ هل يتكرم السادة بتذكر أننى أيضًا ضابطة فى



قفز (أدهم) برشاقة من خلال فتحة الغرفة ..

المخابرات المصرية ، وأن عليكم توضيح هذه الألغاز لى .

ابتسم (هاشم) بهدوء ، على حين قال (أدهم) بجدّية :

ــ (هاشم) واحد من ضباط المخابرات المصرية ، يقيم فى الاتحاد السوفييتى منذ عام كامل ، منتحلًا صفة مهندس مصرى ، يقوم بالدراسة من أجل الدكتوراه ، وهو حاصل على ثقة الجميع هنا ، ولقد استأجرنا هذا الكوخ منذ وصوله إلى هنا .. وهو بالمناسبة حاصل على تصريح تجوال ، ولهذا تم الاتفاق على تواجده فى الكوخ واستعداده لاستقبالنا فى حالة الطوارئ ، حتى تنتهى مهمتنا .

قالت (منى) وهى تجلس على المقعد الخشبىّ :

ــ لهذا توجهنا إلى هنا بسرعة .. ولهذا أيضًا اخترت هذا المكان لنتوقف فيه عندما اصطحبنا (إيفان) .. ولكن ألا يعرِّض هذا (هاشم) للخطر ؟

ضحك (أدهم) ، وقال :

ــ لن يتعرَّفه أحد فى هذا الزىّ يا زميلتى العزيزة .. فهو ليس بدينًا أو أشيب الشعر ، وإنما هو يجيد التنكُّر بأكثر مما أجيده أنا تقريبًا .

ابتسم (هاشم) وقال :

ــ عفوًا يا سيادة المقدم .. أنت أستاذ فى هذا المجال .

قال (أدهم) باهتمام :

ــ هل تحمل أدوات التنكُّر معك يا صديقى ؟

ابتسم (هاشم) ، وقال وهو يشير إلى الغرفة الخفية :

ــ هناك صندوق كامل ، سيثير شهيتك يا سيادة المقدم .

قاطعتهما (منى) قائلة :

ــ ولكن لماذا لم تطلق النار أمس على (إيفان) يا سيادة المقدم ؟ كانت هذه فرصة ذهبية لإنهاء المهمة بنجاح .

قال (أدهم) وهو يخلع معطفه :

ــ ربما لو كان قد أخبرنا بمكان المستندات لفعلت أيتها الملازم .

ثم ابتسم بخبث ، وقال :

ــ ولكنه ارتكب العديد من الأخطاء ، حتى أننى أتساءل إذا ما كنت سأجده فى مكتبه عندما أزوره هذا الصباح ، أم سأضطر إلى زيارته فى سيبيريا .

* * *

سار شاب أشقر الشعر ، أزرق العينين ، كث الشارب ، بهدوء بجوار إدارة أمن موسكو ، تتأبط ذراعه فتاة شقراء ، التفت إليها قائلًا :

ــ لك أن تطمئنى الآن على براعة تنكُّرك يا زميلتى العزيزة .. فها نحن أولاء بجوار إدارة أمن موسكو ، ولم يتعرَّفنا أحد .

ابتسمت (منى) ، وقالت :

ــ نعم يا سيِّدى .. ما لم نتفوَّه بكلمة واحدة .

ضحك (أدهم) ، وقال :

ــ فلتتظاهرى إذن أنك بكماء ، ولن يكشف أحد أمرك .

قطَّبت (منى) حاجبيها ، وقالت :

ــ المهم أن ننتهى من هذه المهمة بسرعة يا سيِّدى ، فسيصل ضابط (الموساد) مساء اليوم .

ربَّت (أدهم) على ذراعها مطمئنًا ، وقال :

ــ سننجح بإذن الله أيتها الملازم .. ولكن لا بدَّ لى من إجراء مكالمة تليفونية أولًا .

رفعت(منى) حاجبيها دهشة ، وقالت :

ــ كيف ذلك ، وأنت لا تجيد اللغة الروسية يا سيادة المقدم ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال :

ــ سأتظاهر بإجادتى إياها يا عزيزتى .. انتظرينى فى هذه الحديقة المثلَّجة ، سأجرى المكالمة من هذا الحانوت المجاور .

جلست (منى) على أريكة خشبية فى الحديقة ، ونظرت إلى (أدهم) وهو يبتعد عنها متجهًا إلى الحانوت الصغير ، وتساءلت فى نفسها : كيف سيجرى هذه المكالمة ؟ وكيف سيقنع صاحب الحانوت بما يريده ؟

وغاب (أدهم) داخل الحانوت ، فى نفس اللحظة التى سمعت فيها صوتًا يحدِّثها بالروسية ، ويد ثقيلة توضع على كتفها ..

التفتت (منى) لتجد اثنين من رجال الشرطة السوفييتية يتحدَّثان إليها وعيونهما طافحة بالريبة .. لم تفهم (منى) كلمة واحدة مما قالا ، وشعرت بالخوف ، وحاولت اتباع نصيحة (أدهم) ، والتظاهر بالبكم ، ولكن محاولتها باءت بالفشل .. فقد فهم الشرطيان بسرعة أنها لا تفهم كلمة واحدة مما يقولانه ، فأصرَّا على اصطحابها إلى إدارة الأمن ..

ألقت (منى) نظرة منزعجة على الحانوت ، ولكن

(أدهم) لم يظهر على بابه .. فسارت مع الشرطيين باستسلام ، وقبل أن تغيب داخل إدارة الأمن لمحت بطرف عينها (أدهم) ، وقد وقف على باب الحانوت مقطَّب الحاجبين ، وعيناه تنظران إلى ما يحدث .

* * *





١٠ ــ قبو العذاب ..

جلس (إيڤان) على مكتبه يتأمَّل (منى) فترة ، ثم افتر ثغره عن ابتسامة شرسة ، وقال بالإنجليزية :

ــ حسنًا أيتها المصرية الحسناء .. صحيح أن شعرك الأشقر وعينيك الزرقاوين ، تشبهان ما يمتاز به الجنس البلطيقى ، ولكن هذه البشرة السمراء المائلة للبياض تميِّز شعوب البحر المتوسط .. لن يخدع تنكُّرك المتقن هذا خبيرًا مثلى .

قلَّدت (منى) ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وقالت :

ــ خبير فى التجسُّس لحساب (الموساد) يا رفيق (إيڤان) .. أليس كذلك ؟

احتقن وجه (إيڤان) غضبًا ، وقال :

ــ محاولة فاشلة لتقليد زميلك أيتها المصرية .. ولكنك نسيت أنه شيطان ، أما أنت فامرأة صغيرة لا تحتمل الألم ..

وتحوَّلت نبراته إلى القسوة ، وهو يردف قائلًا :

ــ وستخبريننى أين هو ، وإلا سلمتك لامرأة مثلك تدعى (هيلجا) .. وهى لا تتميَّز بالعطف النسائى ، وإنما تتلذَّذ بالقسوة ، وتستطيع انتزاع المعلومات من أفواه أشد الرجال تحمُّلًا للعذاب ، فما بالك بالنساء ؟

شعرت (منى) برعدة تجتاحها ، ولكنها تماسكت ، ورسمت بصعوبة ابتسامة على شفتيها ، وهى تقول :

ــ خطأ أيها النذل .. إننى أرى أن النساء أشد احتمالًا للألم من الرجال ، وعملية الإنجاب وحدها تؤكد ذلك .

خبط (إيڤان) على مكتبه بشراسة ، وقال :

ــ لقد سببتما لى إزعاجًا رهيبًا منذ وصولكما إلى موسكو ، أيتها المصرية أنت ورفيقك .. هذا الشيطان الذى يتحرَّك وكأنه فى دولته .. لقد أشعلتما فى نفسى قلقًا بالغًا ، وتسببتما فى وقوفى أمام إدارة مكافحة الجاسوسية فى موقف المتهم .. ولقد كان موقفًا عصيبًا ،

ولست أدرى كيف ستنتهى هذه المسألة ؟. لن أغفر لكما هذا أبدًا .

ثم ابتسم بقسوة وهو يقول :

ــ سأمنحك فرصة لإثبات نظريتك عن احتمال الألم أيتها المصرية .. سأرسلك فى الحال إلى قبو العذاب .. إلى (هيلجا) .

* * *

دخل جنرال روسى طويل القامة ، له شعر أبيض براق إلى إدارة مكافحة الجاسوسية .. وما أن رآه (ميخائيلوف) حتى هبَّ واقفًا ، وعظَّمه باحترام ورهبة ، وقال :

ــ مرحبًا بك فى إدارة مكافحة الجاسوسية ، أيها الرفيق الجنرال (غوريف) .. هذه هى المرة الأولى التى تتشرف فيها الإدارة بزيارتك .

قال الجنرال (غوريف) بلهجة جافَّة ، ونبرات حازمة :

ــ الأمر الذى أتيت من أجله يستحق هذه الزيارة أيها الرفيق (ميخائيلوف) .. لقد حضرت بسبب إهمالكم الجسيم .

شحب وجه (ميخائيوف) ، وقال بصوت مرتعد :

ــ إهمالنا ؟.. كيف يا سيّدى ونحن نقوم بعملنا بدقّة و ....

قاطعه الجنرال (غوريف) بلهجة قاسية قائلًا :

ــ تقومون بعملكم بدقة ؟.. وكيف إذن تركتم جاسوسًا على رأس إدارة الأمن طوال هذه الفترة ؟.. ألا تسمّى هذا إهمالًا ؟

ازداد شحوب (ميخائيلوف) ، وقال بارتباك :

ــ إذا كان الرفيق الجنرال يقصد الرفيق (إيڤان) ، فقد استدعيناه مساء أمس ، وأجرينا له تحقيقًا طويلًا ، ثم ....

صاح الجنرال مقاطعًا بغضب :

ــ ثم سمحتم له بالانصراف .. أليس كذلك ؟..

هذا إهمال جسيم إيها الرفيق .. إهمال كفيل بأن يفقدك وظيفتك .. لا ينبغى أن يعود إلى منصبه قبل التأكُّد من براءته .. ثم إننى أمتلك من الأدلة ما يذهب به رأسًا إلى سيبيريا .

كان وجه (ميخائيلوف) مصفرًّا كوجوه الموتى ، وهو يقول بصوت مبحوح :

ــ لديك أدلة أيها الرفيق ؟.. وأين هى ؟

ألقى الجنرال بشريطى تسجيل على مكتب (ميخائيلوف) ، وقال :

ــ هذا تسجيل لمكالمة أجراها مع أحد رجال (الموساد) منذ شهر واحد ، وعدة مكالمات أخرى مشبوهة .. هذا بالإضافة إلى تصرُّفاته المريبة بشأن الجاسوسين منذ صباح أمس .. أيكفيك هذا أيها الرفيق أم تحتاج للمزيد ؟

كان صوت (ميخائيلوف) مسموعًا بصعوبة لجفاف حلقه ، وهو يقول :

ــ يكفى جدًّا يا سيّدى ، بالإضافة للمعلومات الأخرى التى لدينا .

صاح الجنرال بغضب :

ــ وماذا تنتظر إذن .. لا بد أن يُلقَى القبض عليه فى الحال .. وسأقلّه بنفسى إلى سيبيريا .. هذا جزاء الخونة والجواسيس .

* * *

بعد نصف ساعة من هذا الحوار ، كان (إيڤان) ينزع خاتمه الضخم من إصبعه ، ويسلمه إلى رجل نحيل ، أجدع الأنف ، ويقول :

ــ يسرنى أنك قد وصلت مبكّرًا أيها الرفيق (موشى) ، فموقفى صعب جدًّا منذ صباح أمس ، بسبب هذا الشيطان المصرى وزميلته .

تناول (موشى) الخاتم ووضعه فى بنصره ، وهو يقول :

ــ أحسنت بمقابلتى هنا يا سيّد (إيڤان) ، ولكن

يجب أن تتصرف فى الحال ، وإلا أثار وجودك العديد من الشكوك .

ازدرد (إيڤان) ريقه ، وقال :

ــ بالطبع أيها الرفيق (موشى) ، ولكن لا تنس وعود دولتك .. لقد وعدتمونى بمليون من الدولارات ، ومساعدتى على الحصول على اللجوء السياسى فى الولايات المتحدة .

قال (موشى) وهو يطمئن على الميكروفيلم الموجود بداخل الخاتم :

ــ طبعًا .. طبعًا أيها الرفيق (إيڤان) .. دولتنا لا تتخلّى عن عملائها المخلصين أبدًا .

تنهّد (إيڤان) ارتياحًا ، وأسرع يغادر غرفة الفندق .. وما أن أغلق الباب وراءه حتى ضحك (موشى) بتهكُّم ، وقال :

ــ نساعدك على اللجوء السياسى ؟ أنت واهم يا سيّد (إيڤان) .. إنك أكثر فائدة لنا هنا .

ثم رفع سماعة الهاتف ، وطلب من موظف

يستطيع أن يوصله بالغرفة المجاورة .. وكان عندما سمع صوتًا مألوفًا :

ـ احضر إلى غرفتى فى الحال يا (روشى) ومعك (بيريز) .. لقد حصلنا على المستندات .

وأعاد السماعة قبل أن يتلقَّى ردًّا ، ثم ارتعد جسده ، واتسعت حدقتاه عندما جاءه صوت ساخر يقول بهدوء من خلفه :

ـ أشكرك على هذه المعلومات أيها الوغد .. وأعتقد أننى سأكون ممتنًّا لك إذا ما سلمتنى هذه المستندات بهدوء .

استدار (موشى) إلى مصدر الصوت ، وهاله مرأى رجل طويل ، عريض المنكبين ، أشقر الشعر ، يقف مبتسمًا بسخرية ، ويده ممسكة بمسدس ضخم ، مصوَّب إلى حيث يقف .

* * *



استدار (موشى) إلى مصدر الصوت ، وهاله مرأى رجل طويل ، عريض المكنبين ، ويده ممسكة بمسدس ضخم ..

١٢ ـ الشيطان الأشقر ..

رفع (موشى) ذراعيه فوق رأسه ، وضاقت حدقتاه وهو يتأمل الأشقر الذى يهدِّده بمسدسه ، ثم ما لبث أن تمالك أعصابه ، فقال :

ـ أية مستندات أيها السيِّد ؟ إنما نتحدَّث عن أوراق خاصة بأعمال تجارية .

ضحك (أدهم) ضحكة تهكمية عالية ، وقال :

ـ ألم تتعرَّفنى بعد أيها الوغد ؟ ربما خدعتك ملامحى الروسية .. إنها ملامح زائفة ، يا رجل .. أمّا ملامحى الحقيقية فتحفظونها جيدًا فى (الموساد) .

ظهر التساؤل على وجه (موشى) ، فأردف (أدهم) قائلًا بسخريته المعهودة :

ـ أنا المصرى الذى تلقبونه بالشيطان .

تراجع (موشى) بحدَّة وفزع إلى الوراء ، واتسعت حدقتاه وهو يتمتم بدهشة :

ـ مستحيل !. (أدهم صبرى) ؟.. يا لسوء الحظ !!

وفجأة تعلَّقت عينا (أدهم) بالخاتم الذى يزيِّن يد (موشى) ، وقطَّب حاجبيه فى محاولة للتذكُّر ، وسرعان ما افترَّ ثغره عن ابتسامة هى مزيد من الثقة والسخرية ، وقال :

ـ يبدو أننى كنت محقًّا حين تتبَّعت الرفيق (إيفان) إلى هنا .. ها هو ذا قد أهداك خاتمه الضخم ، ويبدو أن هذا الخاتم له مميِّزات خاصة أيها الوغد ؛ ولذلك سأقبله هدية منك .

شحب وجه (موشى) ، وحاول أن ينطق بكلمة ، فى نفس اللحظة التى فتح فيها رجلان ضخمان باب الغرفة ، وتسمَّرا على مرأى (أدهم) وهو يصوِّب مسدسه إليهما ، وصاح (موشى) محذِّرًا :

ـ احترسا .. إنه الشيطان (أدهم صبرى) .

انتقل شحوب وجه (موشى) إلى زميليه ، عندما

سمعا باسم (أدهم) ، الذى ابتسم ساخرًا ، وقال :

ــ والآن أيها الوغد ، ناولنى هذا الخاتم ، وليذهب كل منا فى طريقه .

خلع (موشى) خاتم (إيفان) باستسلام ، ومدَّ يده يناوله إلى (أدهم) .. وفجأة قذف بالخاتم فى وجه (أدهم) ، وصاح بزميليه :

ــ هلمَّا يا رفاق .. سنقضى على الشيطـ ....

ولكن عبارته توقَّفت عندما التصق فكَّاه ، وتحطمت أسنانه ، إثر لكمة قوية من قبضة (أدهم) اليسرى ، فى نفس اللحظة التى ركل فيها أحد الرجلين الضخمين المسدس الذى يحمله (أدهم) ، وقفز الثانى ليطوِّقه بذراعيه .. وتحرك (أدهم) بسرعة ومهارة ، فتلقَّى القافز بقبضته اليمنى غائصًا فى معدته ، وردَّ الركلة إلى الرجل الأول فى وجهه ، ثم قفز عاليًا وهو يطلق صيحة الكاراتيه المميَّزة ، لتصيب قدمه اليمنى أنف أحد الرجال ، وتستقر اليسرى فى عنق الثانى .. وما أن

لمست قدماه الأرض مرة أخرى ، حتى تحرَّكت قبضتاه بسرعة مذهلة ، وتفجَّرت الدماء من أنف أحد الرجلين ، وهوى الثانى فاقد الوعى ، وهو يقبض على معدته بألم شديد ، ثم امتدت يد (أدهم) لتجذب (موشى) من عنقه ، قبل أن يصل إلى المسدس الملقى أرضًا ، وشعر (موشى) وكأن قنبلة قد تفجَّرت فى فكِّه ، أعقبتها أخرى فى معدته ، وثالثة بين عينيه ، ثم لفَّه ظلام دامس ، وفقد إحساسه بالزمن ..

وبهدوء مدَّ (أدهم) يده يتناول الخاتم الضخم والمسدس ، دسَّ المسدس فى جيبه ، وفتح الخاتم ، وابتسم بسخرية وهو يتناول الميكروفيلم من داخله ، ويتأمَّله على ضوء مصباح الغرفة ، ثم يدسّه فى جيبه ، ويفتح الباب بهدوء ، ويسير بثقة إلى خارج الفندق .

* * *

شعر (إيفان) بقلق بالغ ، عندما شاهد السيارة الخاصة بإدارة مكافحة الجاسوسية تقبع أمام إدارة

الأمن ، ولكنه عبر باب إدارة الأمن وهو يجر قدميه بصعوبة ، وما أن وصل إلى مكتبه حتى شحب وجهه ، عندما شاهد (ميخائيلوف) عاقدًا ذراعيه ، محاطًا برجال إدارة المكافحة ، وتخلخلت ركبتاه عندما سمعه يقول بحزم وجفاء :

ــ رفيق (إيفان) .. أنت مقبوض عليك بتهمة التجسُّس لحساب (الموساد) ، ولدينا الأدلة الكافية .

سقط (إيفان) منهارًا على أحد المقاعد المجاورة ، ودفن وجهه فى راحتيه ، على حين صوَّب رجال الإدارة مدافعهم الرشاشة إليه ، ووضع اثنان منهما أكفَّهما على كتفيه بقوة .

* * *

تصبب العرق على وجه (منى) ، وضغطت على أسنانها ، محاولة كتم صيحة ألم كادت أن تفلت من بين شفتيها ، عندما أطفأت (هيلجا) سيجارتها المشتعلة فى كفِّها .. ابتسمت (هيلجا) وهى تشاهد الألم المرتسم

على وجه (منى) ، وقالت بقسوة :

ــ والآن أيتها الجاسوسة الحسناء ، أقرَّرْتِ الاعتراف أم أواصل عملى الممتع ؟.

ثم أمسكت بشعر (منى) وجذبته بشدة ، وقالت :

ــ إنك لم تتذوَّقى بعد أسلوب (هيلجا) الخاص فى استخراج الكلام من أفواه البكم أيتها المصرية .. وما دمت تصرِّين على الصمت ، فسأتبع معك أسلوبًا ديمقراطيًّا .

وتركت شعر (منى) ، وابتسمت بشراسة وهى تقول :

ــ سأترك لك الخيار .. ماذا تفضِّلين ؟. أن أشعل النار فى شعرك الجميل ؟. أم أنزع أظافرك الطويلة ؟

ارتعد جسد (منى) ، ولكنها لم تتفوَّه بكلمة ، مما أشعل الغضب فى نفس (هيلجا) .. فجذبتها مرة أخرى من شعرها ، وصفعتها بقوة وهى تقول :



فجذبتها مرة أخرى من شعرها وصفعتها بقوة وهى تقول : «أيتها الغبيَّة، ستزحفين على ركبتيك طالبة الرحمة» ..

ـــ أيتها الغبيَّة .. ستزحفين على ركبتيك طالبة الرحمة عندما ....

وفجأة قاطعها صوت (أليكسى) وهو يقول :

ـــ كفى أيتها الرفيقة (هيلجا) .. سنسلِّم الجاسوسة إلى إدارة المكافحة .

التفت إليه (هيلجا) بحدَّة ، فقد كان وصوله إلى قبو العذاب مفاجئًا لها ، وكان يقف بجوار (أليكسى) شاب أشقر الشعر ، يرتدى زى ضباط مكافحة الجاسوسية ، وقد وقف منتصبًا وكفَّاه خلف ظهره .. وقال (أليكسى) مقدمًا إياه إلى (هيلجا) :

ـــ الرفيق (استجروف) من إدارة المكافحة ، وقد حضر لتسلُّم الجاسوسة ، بعد أن تم القبض على الرفيق (إيفان) .

امتقع وجه (هيلجا) ، وقالت :

ـــ كنت أنفذ الأوامر فقط يا رفيق (استجروف) .. وهذه الفتاة ترفض التفوُّه بكلمة

واحدة ، برغم ما أذقته إياها .

أخذ (استجروف) يتأمل وجه (منى) ببرود ، ثم قال :

ـــ حلِّى وثاقها أيتها الرفيقة (هيلجا) ، سأصحبها إلى إدارتنا ، حيث ستتكلم حتى لو كانت خرساء .. لا بد أن تخبرنا عن مكان زميلها الهارب .

لم تفهم (منى) كلمة واحدة من هذا الحوار الذى دار باللغة الروسية ، ولكنها فهمت أنه هناك جديد فى الأمر ، عندما حلت (هيلجا) وثاقها ، وسلَّمتها إلى (استجروف) ، الذى جذبها بقسوة وسلَّمها إلى (أليكسى) ، وسار أمامهما بعجرفة ، حتى غادروا إدارة الأمن ، واستقلوا سيارة قادها (أليكسى) بنفسه ، فى جوّ من الصمت التام ، حتى قال (استجروف) محدثًا (أليكسى) بعجرفة :

ـــ هل الطائرة التى طلبتها معدَّة أيها الرفيق (أليكسى) ؟

قال (أليكسى) وهو ينظر إلى (استجروف) ، من خلال مرآة السيارة :

ـــ نعم أيها الرفيق .. ولكن لا تنس وعدك لى باصطحابى معكما .

ابتسم (استجروف) وتبدَّلت لهجته إلى صوت مألوف وهو يقول بالإنجليزية :

ـــ بالطبع يا صديقى .. المخابرات المصرية لا تتخلَّى عن رجالها أبدًا .

صاحت (منى) بمزيج من الذهول والفرحة العارمة :

ـــ (أدهم) !! مستحيل !! ولكنك لا تتحدث الروسية .

ابتسم (أدهم) ابتسامة خبيثة ، وقال :

ـــ من قال هذا أيتها الملازم ؟.. لا أعتقد أننى نفيت علمى باللغة الروسية !

رفعت (منى) حاجبيها دهشة ، وقالت :

ـ ولكننى فهمت هذا عندما أخبرت موظف الاستقبال فى الفندق ، وإصرارك الشديد على التحدُّث بالإنجليزية أمام (إيڤان) .

ضحك (أدهم) ، وقال :

ـ ولكنك لم تسألينى إذا كنت أجيدها أم لا يا عزيزتى .. ثم إن السبب الرئيسى فى نجاح خطتى ، هى أنهم متأكدون أننى لا أجيد كلمة واحدة باللغة الروسية .

أمسكت (منى) برأسها ، وقالت :

ـ هذا يسبب لى الصداع ، لم أعد أفهم ما يحدث هنا .. قد أفهم أنك تجيد الروسية ، ولكن ما الذى دفع (أليكسى) لمساعدتك ؟

ضحك (أدهم) ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ (أليكسى) عميل للمخابرات المصرية يا زميلتى العزيزة ، هو الذى أخبرنا بأمر (إيڤان) منذ البداية ، وهو الذى سجَّل المكالمات التى أثبتت تورطه ، وهو

الذى زوَّدنى بالملابس الرسمية ، التى ساعدتنى على إنجاح خطتى المعقدة .. وسوف يصحبنا إلى مصر ، بعد أن غامر بافتضاح أمره أمام (هيلجا) ، التى ستكشف بالطبع أنه لا وجود لمن يدعى (استجروف) فى إدارة المكافحة .

ضحكت (منى) بتوتُّر ، وقالت :

ـ يسعدنى أن يصحبنا (أليكسى) إلى مصر .. هذا لو نجحنا نحن فى ذلك .

* * *





١٢ ـ طائرة الهروب ..

رفع (ميخائيلوف) سماعة الهاتف ، وطلب رقم الجنرال (غوريف) بسعادة ، وهو يمنِّى نفسه بالترقية بعد هذا النصر العظيم .. وما أن جاءه صوت (غوريف) حتى قال :

ـ طاب مساؤك يا سيِّدى ... أردت أن أبلِّغك بأننا قد ألقينا القبض على الرفيق (إيڤان مالاخوف) بتهمة التجسُّس لحساب (الموساد) ، وقد حصلنا منه على ....

قاطعه (غوريف) قائلاً بدهشة :

ـ (إيڤان مالاخوف) ؟.. قائد الشرطة ؟.. وهل اعترف ؟

ارتبك (ميخائيلوف) ، وقال :

ـ نعم يا سيِّدى .. لقد أدلى باعتراف كامل ، وتوصَّلنا من خلال اعترافه إلى القبض على ثلاثة من

رجال (الموساد) فى قلب موسكو ، ولدينا الآن ملف ضخم ، كفيل بإرسالهم جميعًا إلى سيبيريا .

نقلت أسلاك الهاتف صوت (غوريف) وهو يقول بدهشة :

ــ هذا عجيب !. أعجب ما حدث حتى الآن !. مدير الشرطة نفسه عميل للموساد ؟

قال (ميخائيلوف) ، محاولًا كسب رضاء الجنرال (غوريف) :

ــ لك الفضل الأول فى ذلك بالطبع يا سيّدى .. فلقد سلّمتنا دليلًا كافيًا عند زيارتك صباح اليوم ، وهذا ....

قاطعه (غوريف) قائلًا بغضب :

ــ هل أصابك الجنون أيها الرفيق ؟ لم أذهب لزيارة إدارتكم أبدًا .

رفع (ميخائيلوف) حاجبيه دهشة ، وقال بتردُّد :

ــ ولكننى استقبلتك بنفسى صباح اليوم أيها الرفيق الجنرال ، و ....

صاح (غوريف) غاضبًا :

ــ قلت إن هذا لم يحدث أبدًا أيها الرفيق .. سأحقق معك فى هذا الشأن .

ثم أغلق الخط غاضبًا .. ازدادت دهشة (ميخائيلوف) وهو يضع السماعة ، ثم صاح فجأة :

ــ يا للشيطان !! لا بدَّ أنه هذا الداهية الذى أخبرنا به (إيفان) .

وتناول سماعة الهاتف بسرعة ، وطلب رقم قبو العذاب ، وبعد حديث قصير مع (هيلجا) وضع السماعة غاضبًا ، وصاح :

ــ إنه هذا الشيطان بلا شك .. لقد أنقذ رفيقته ، ولكنه لن ينجو منّى أبدًا .. أبدًا .

أخذ يسير فى الغرفة جيئة وذهابًا بقلق ، وهو يقول لنفسه :

ــ أين أذهب لو كنت مكانه ؟. ستكون مهمتى التالية هى محاولة الهروب خارج الاتحاد السوفييتى .. كيف ؟.. سأحاول الحصول على وسيلة مواصلات .. سيارة ، أو ....

ثم توقف فجأة ، وصاح بصوت عالٍ :

ــ يا إلهى !! طائرة ؟. هذا الشيطان يمتاز بالجرأة والتهوُّر ، وسيحاول الحصول على طائرة بالطبع ..

أسرع يتناول سماعة الهاتف مرة ثالثة وهو يصيح :

ــ لا بدَّ من إبلاغ المطارات الحربية .. لا بدَّ من منع هذه المحاولة .. لا بدَّ .

* * *

قال الضابط المُكلَّف حراسة المطار ، وهو يتأمَّل (أدهم) بقلق :

ــ لست أدرى ماذا أفعل أيها الرفيق (استجروف) ؟.. هذه هى المرة الأولى التى يواجهنى فيها مثل هذا الموقف المعقد !

قال (أدهم) ببرود ، وقد تظاهر بالغضب :

ــ التصريح الذى بيدك واضح وصريح أيها الرفيق .. هذا أمر بأن تسلّمنى طائرة (ميج) مزوَّدة بالوقود ، والقذائف من أجل مهمة تتعلّق بمكافحة الجاسوسية .

هزَّ الضابط السوفيتى رأسه ، وقال :

ــ نعم يا سيّدى ، التصريح واضح ، ولكنها المرة الأولى التى يحدث فيها هذا .

قال (أليكسى) :

ــ ألم تتلقَّ مكالمة تليفونية تؤكد هذا أيها الرفيق ؟

قطَّب الضابط حاجبيه ، وصمت فترة ، ثم قال :

ــ حسنًا يا سيّدى .. سأسلّمك الطائرة ، ولكنك ستوقّع بتسلُّمها .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ــ حسنًا أيها الرفيق المخلص .. ولكن أسرع .. فمهمتنا عاجلة وخطيرة .

اتخذ الجميع مقاعدهم فى الطائرة الحربية الصغيرة ، وبدأ (أدهم) فى إدارة المحركات ، وبدأت الطائرة فى التحرُّك بهدوء على أرض المطار .. عندما أسرع أحد الجنود إلى الضابط وهو يصيح :

ـــ أوقف الطائرة أيها الرفيق .. إنهم جواسيس .. لقد وصلت إشارة بذلك الآن .

شحب وجه الضابط .. كان من المستحيل إيقاف الطائرة بعد أن ازدادت سرعتها إلى هذا الحدّ ، وقاربت الإقلاع ، فصاح فى رجاله بقوة :

ـــ أطلقوا النار .. حاولوا إيقاف الطائرة .

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، عندما أخذ الجنود يطلقون النار على الطائرة التى أقلعت بسرعتها البالغة ، فى اتجاه غروب الشمس .

* * *



شحب وجه الضابط .. كان من المستحيل إيقاف الطائرة بعد أن ازدادت سرعتها إلى هذا الحد ، وقاربت الإقلاع ..

١٣ ـــ المقاتل الشرس ..

أطلق (أدهم) العنان لسرعة الطائرة الفائقة ، وقال بهدوء :

ـــ الوقود الذى معنا يكفى لوصولنا إلى القاهرة ، مرورًا بالبحر الأسود ، وتركيا ، والبحر المتوسط .. هذا لو انطلقنا فى خط مستقيم فى اتجاه الجنوب ..

قالت (منى) بقلق :

ـــ المهم أن نغادر الاتحاد السوفييتى ، حتى لو سقطت بنا الطائرة بعد ذلك .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال :

ـــ يبدو أنهم يرفضون مساعدتنا على ذلك ، ويصرُّون على إسقاطنا فوق روسيا أيتها الملازم ..

ومن خلال زجاج النافذة ، شاهدت (منى) عددًا من المقاتلات السوفييتية من طراز (ميج) ، وهى تنقضّ على طائرتهم فى تشكيل ثمانىّ ، فصاحت بفزع ..

ولكن (أدهم) جذب مقود الطائرة بهدوء ، فارتفعت إلى السماء بصورة عمودية ، ثم انحرف بها يسارًا بقوة ، وعاد يهبط بها كالقذيفة فوق المقاتلات السوفييتية ، وهو يطلق نيران مدفع الطائرة ..

تشتَّت المقاتلات الروسية بسرعة على هيئة نافورة مائية ، على حين اشتعلت النيران فى ذيل إحداها ، وانقضت المقاتلات السبع الباقية على طائرة (أدهم) ، تدفعها الرغبة فى الانتقام لزميلتها .. ولكن (أدهم) دار دورة رائعة سريعة جعلته خلف المقاتلات ، وعاد مدفعه الرشاش ينطلق ، مشعلًا النيران فى مقاتلتين أخريين .

وعندما استدارت المقاتلات الخمس لمواجهته اندفع وسطها بجرأة لا مثيل لها ، وبأسلوب يخالف القواعد المتبعة فى الطيران ، حتى أن التخلخل الحادث من جراء هذا أدَّى إلى اصطدام مقاتلتين سوفيتيتين بعضهما ببعض وتحطمهما تمامًا ، فى نفس اللحظة التى صاح فيها (أليكسى) بذهول :

ــ هذا رائع .. مستحيل .. لا يصدِّقه عقل .. هذه أروع مناورة قتالية رأيتها فى حياتى .. وأكثرها جرأة .

أما (منى) فقد انكمشت فى مقعدها ، وقد تملكها الذعر وهى تنظر إلى (أدهم) الذى قطَّب حاجبيه ، وانطلق بالطائرة بأقصى سرعة يمكنه بلوغها ، وارتعد جسدها عندما سمعته يقول بسخرية :

ــ لقد ابتعدت المقاتلات الباقية .. يبدو أنهم سيطلقون نحونا أحد صواريخهم المضادة للطائرات .. هذه الصواريخ اللعينة لم تفشل أبدًا فى إصابة طائرة .. إلَّا إذا ....

وقبل أن يكمل عبارته ، هبط بالطائرة فجأة إلى مستوى منخفض للغاية ، حتى أن (أليكسى) صاح بفزع :

ــ ربَّاه .. من المستحيل أن تنطلق بهذه السرعة البالغة ، على هذا المستوى المنخفض .. هذا مستحيل وخاصة وسط هذا الظلام .

ولكن (أدهم) تجاهل هذه العبارة ، وانطلق على ارتفاع منخفض جدًّا ، حتى أن أجنحة الطائرة كادت تمس قمم الأشجار ، وابتسم ساخرًا وهو يقول :

ــ حسنًا أيها الرفيق (أليكسى) .. إننى أهوى المستحيلات .

وفجأة تبدَّلت ملامحه ، وصاح بسرور :

ــ ربَّاه .. إذن فهذا سبب ابتعاد المقاتلات السوفييتية .. أبشروا يا رفاق ها هو ذا البحر الأسود أمامنا ..

وبسرعة فائقة اجتازت الطائرة حدود الاتحاد السوفيتى ، ومرقت كالصاروخ فوق مضيق البوسفور التركى .. وصاح (أليكسى) بسعادة غامرة :

ــ لقد نجونا .. يا لسعادتى .. لقد عبرنا الحدود .

تنهَّدت (منى) بارتياح ، وقد قفزت الدموع من عينيها ، على حين قال (أدهم) بهدوء :

ــ حسنًا .. لقد نجونا من المقاتلات السوفييتية ، والآن سنواجه خطر المقاتلات المصرية .. هذا إذا ما نجحنا فى عبور البحر المتوسط قبل أن ينفد الوقود .

* * *

كانت الشمس قد أشرقت عندما أحاطت المقاتلات المصرية بالمقاتلة السوفييتية ، وطلبت منها الاستسلام عن طريق جهاز اللاسلكى .. تنهَّد (أدهم) بارتياح ، وفتح جهاز اللاسلكى ، وقال بهدوء :

ــ هنا المقدم (أدهم صبرى) من المخابرات الحربية المصرية ، أطلب الإذن بالهبوط ؛ لأن الوقود قد أشرف على النفاد ، هذه المقاتلة سوفييتية الأصل ، ولكن قائدها مصرى الجنسية .. حوِّل .

وبهدوء هبطت الطائرة السوفييتية على أرض المطار الحربى المصرى ، تحت حراسة المقاتلات المصرية .. وما أن أوقف (أدهم) محركاتها ، حتى هبط منها هو و (منى) و (أليكسى) ، وقد رفع كل منهم ذراعيه خلف رأسه .. أحاط بهم الجنود ، وقادوهم إلى مكتب

قائد المطار ، الذى استمع إلى قصة (أدهم) بشك ، ثم قال وهو يتأملهم بريبة :

ــ هذه القصة عجيبة أيها المقدم .. بصفتى طيَّار قديم أعلم جيدًا أنه من المستحيل الفرار من الاتحاد السوفيتى بطائرة حربية .. هذا مستحيل بالنسبة لطيار حربى محترف ، فكيف به بالنسبة لضابط مخابرات مهما بلغت كفاءته ؟.

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ــ هذا إطراء لى ياسيِّدى ، وعمومًا يمكنك تسليمنا إلى المخابرات الحربية .

هزَّ قائد المطار كتفيه ، وقال :

ــ هذا ما سيحدث بالفعل أيها المقدم .. ستصل سيارة المخابرات بعد دقائق .

أومأ (أدهم) برأسه ، وقال :

ــ شكرًا يا سيِّدى .. والآن هل تسمح لى بالاغتسال ، حتى يتعرَّف زملائى ملامحى .

كانت دهشة قائد المطار عظيمة ، عندما شاهد شعر (أدهم) الأسود ، وملامحه الوسيمة المصرية عندما أزال تنكُّره ، وتعاظمت دهشته عندما وصلت سيارة المخابرات الحربية ، وقفز منها المقدم (حازم) ، ليحتضن (أدهم) قائلًا بفرحة :

— مرحى يا صديقى ، ها قد أضفت بطولة جديدة إلى بطولاتك السابقة .. ها أنت مرة أخرى قد حطَّمت المستحيل .

* * *



١٤ — الختام ..

قال مدير المخابرات الحربية المصرية ، وهو يهز رأسه ويبتسم بإعجاب :

— ها هو ذا انتصار جديد يضاف إلى إنجازاتك الرائعة أيها المقدم .. لقد حصلت على المستندات ، وأوقعت بالعميل السوفيتى (إيفان) ، وتسببت فى إلقاء القبض على ضباط (الموساد) الثلاثة .. مهمة أخرى مستحيلة تنجح فى أدائها !

ابتسم (ادهم) ، وقال :

— ولكنها بحقّ أصعب المهام التى أسندت إلىَّ حتى الآن يا سيّدى .

ضحكت (منى) ، وقالت :

— وأكثرها رعبًا وألمًا ، وراحتى المحترقة تشهد بذلك يا سيّدى .

التفت إليها (أدهم) ، وقال :

— لقد كنت عظيمة فى هذه المهمة يا زميلتى العزيزة .. عظيمة بحق .

ابتسم مدير المخابرات ، عندما شاهد وجه (منى) يتخضَّب خجلًا وسعادة ، وقال :

— المهم أن السوفيت قد تكتموا الأمر تمامًا ، ولم يصدروا أية بيانات . لو أنهم كانوا قد ألقوا القبض عليكما لصنعوا من هذا خبر الموسم ، ولكن لأنهم فشلوا فى ذلك أحاطوا الأمر كله بالسرِّيَّة التامة ، حتى أنهم لم يطالبوا باستعادة (أليكسى) ، بل تجاهلوه تمامًا .. كل ما فعلوه هو أنهم أضافوا ثمن طائرة (ميج) إلى المبلغ المطلوب منا ، مقابل صفقة الأسلحة الأخيرة ، ونحن طبعًا لم نسألهم عن السبب .

ضحك (أدهم) ، وقال :

— وهم من جانبهم لن يشيروا إلى ما حدث ، ما دمنا نلتزم الصمت من جانبنا يا سيّدى .

قال مدير المخابرات ، وهو يخفى ابتسامته :

— وهل تطلب منهم أن يعلنوا أن ضابط مخابرات مصرى تحرَّك على أرضهم بحرية ، وكشف عميلًا ، وغادر الاتحاد السوفييتى فى طائرة روسية حربية ، مناورًا ثمان طائرات يقودها طيارون على أعلى مستوى ،وهزمهم جميعًا .. هل تعتقد أنهم يحبون إعلان ذلك ؟ إن تجاهلهم لما حدث يعد رشوة لنا ، حتى لا نعلنه على العالم أيها المقدم .

ثم مال إلى الأمام ، وقال :

— لقد أشعلتما النيران فى الجليد الأحمر أيها المقدم أنت وزميلتك ، وأثبتما أن المخابرات المصرية تفوق الجميع .. أنتما بطلان .

تطلَّعت (منى) إلى الشمس التى تغمر المكان ، وهى تغادر مبنى إدارة المخابرات الحربية برفقة (أدهم) ، وقالت :

— نحن سعداء الحظ ؛ لأننا نتمتع بهذا الجوّ الدافئ فى مصر ، برغم حلول الشتاء .

ضحك (أدهم) ، وقال :

ــ بعكس (إيفان) المسكين .. لا بدَّ أنه يتجمَّد بردًا في سيبيريا الآن .. كم أضحك عندما أتذكَّر أنه كان يريد إرسالنا إلى هناك .

ابتسمت (منى) بمكر ، وقالت وهي تتأبَّط ذراع (أدهم) :

ــ هذا ما يستحقه ؛ لأنه تجرَّأ على تحدِّى رجل مثلك يا سيادة المقدم .. رجل المستحيل .

* * *

(تمت بحمد الله)

● العدد القـادم ●

قتال الذئاب

● لماذا اختطف رجال (المافيا) السفير المصرى فى إيطاليا ؟

● لماذا يدور هذا الصراع الدامى بين (أدهم صبرى) وعصابات (المافيا) بأكملها ؟

● تُرَى هل ينجو (أدهم صبرى) من قبضة (المافيا) القوية ، وينجح فى إنقاذ السفير المخطوف ؟

● اقرأ التفاصيل المثيرة .. لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .

اقرأ التفاصيل المثيرة فى العدد القادم